الإسلام في الحبشة

وثائق صحيحة قيمة ، عن أحوال المسلمين فى مملكة أثيوبيا ،

من شروق شمس الاسلام ، إلى هذه الأيام

تاليف



مفتش الآثار العربية سابقاً ، ومدرس الخط الكوفى

بمدرسة تحسين الخطوط الملكية

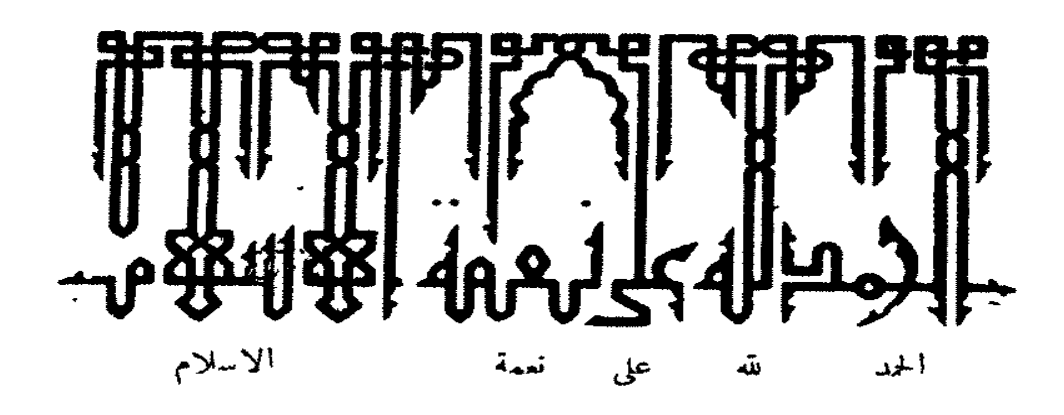
الطبعة الأولى

القاهرة فى شعبان سنة ١٣٥٤ ﻫ (نوفمبر سنة ١٩٣٥ م)

مطبعـــة حجازى بالقـاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم



والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، الذى جاء بالهدى ودين الحق ، فأنار بنور هديه غياهب الظلام ، وحلّ بشريعته عقدة التباغض بين الخلق ، وأحلّ محلها المحبة والوئام ، وعلى آله ، وأصحابه ، الطيبين ، الطاهرين ، الكرام ، الذين أقاموا العدل ، وحكّموا به ، فكانوا للفضيلة خير أئمة ، وللهداية نعم الأعلام ، فقضوا بفصل قضائهم على الشرور والآثام ، ونشروا بالخير على البسيطة أجنحة السلام .

رضى الله عنهم وأرضاهم ما توالت الأيام ؟

أما بعد : فانا نغتنم فرصة عطف الشعوب الاسلامية ، فى مختلف الأقطار ، على مساعدة الحبشة ، فنبين لهم حال الاسلام ، والمسلمين ، فى الحبشة ، من وقت أن هاجر إليها طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ هرباً من ظلم قريش ، إلى هذه الأيام . علهم بعد أن يقرأوا هذه الوثائق الصحيحة ، يطالبون « النجاشى » العاهل الشرقى العظيم « جلالة هيلاسيلاسى » تلقاء هذا العطف العام ، بأن يتوجه ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ، إلى إصلاح شؤون المسلمين فى بلاده ، وإلى كفّ الأذى عنهم . وأن يتركهم يتمتعون بثمرة قوّتهم ونشاطهم ، وذكائهم . وأن يماثل بينهم . وبين أبناء الحبشة المسيحيين ، فى العدل ، فيفك عن أعناق المسلمين . ما وضعه فيها أسلافه ، من أغلال الضغط على حرّيتهم فى الدّين ، والتجارة ، والصناعة ، والزراعة . وأن يمنع عدوان الرؤس الجبابرة عن أموالهم ـ إلا بحقّ ـ وأن يصون أرواحهم وأعراضهم . فانه إن فعل ذلك ، سما بمملكته الشرقية ، أدبيا ، واقتصاديا ، وسلم من نقد الناقدين ، وألسنة الناقمين ، ولا نخاله إلا فاعلاً ذلك إن شاء الله تعالى .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو الهادى إلى سواء السبيل ؟

تمهيـــد

قام بعض الكتاب يذكّر المسلمين بما للحبشة عليهم من حق قديم ، أوجبه عليه ما فعلوه مع المسلمين ، المهاجرين ؛ من أصحاب رسول الله ﷺ حينما هاجروا إلى الحبشة ، هرباً من أذى كفار مكة . فأجارهم النّجاشى ،وأحسن مثواهم

وقالوا : ان ما فعلته الحبشة مع المهاجرين يعدّ مكرمة خالدة لايجب أن تنسى

ونحن وان كنّا ممن يحفظون الجميـــل ، ويخضعون للحق ، الا أننا أحببنا أن نبيّن للمسلمين ، ارتباط الحبشة بالاسلام ـ قديما وحديثا ـ على الوجه الصحيح . ليعرفوا مالهم ، وماعليهم نحوها ، حتى يكونوا على بَيّنة من الأمر ، وليدركوا بان عطفهم على الحبشة لم يكن رداً لجميلٍ سابقٍ لها على الاسلام ، بل لأنها دولة شرقية ، تحاربها دولة غربية

وان شئت فقل : لأن الانسان جبل بطبعه على الانتصار للضعيف .
ويصح أن يكون هذا هو السبب الأقوى — لأنه يشترك معنا فى العطف عليها كثير من الناس ، على اختلاف أديانهم ، وتباين أوطانهم .

وحسبك مافعلته « جمعية عصبة الأمم » من العطف الجدّى على الحبشة — وان كان بعضه مشابا بشىء من المصلحة الخاصة —

أما إيواء الصحابة المهاجرين ، وإكرامهم ، فالفضـــل فيه ، يرجع إلى

شخص واحدٍ من الحبشة فقط . وهو « النجاشي أصحمة » [١] فقد كان رجلا عالما بالتوراة والأنجيل ، مصدقا بالبشارة براكب الجمل .

فلما جاءه المهاجرون ، أكرم مثواهم ، وحماهم من الشعب الحبشي وبطارقته .

ثم أسلم على يدى جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى محمد ﷺ وحسن اسلامه . ولم يعتنق الاسلام من الحبشة يومئذ سواه . وقد ستر اسلامه عن قومه حتى مات . وهذا مادعى مؤرخى الأفرنج إلى عدم اقتناعهم بأنه أسلم .

وقد نُعى للنبى ﷺ فصلى عليه صلاة الغائب . ولم يصل عليه أحد فى الحبشة ، لأن موته كان بعد عودة المهاجرين كلهم إلى المدينة .

---

(١) قال صادق باشا العظم فى رحلته إلى الحبشة سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) فى صفحة ١٨٦ : سألت آتو هيلا مريم ترجمان رأس ما كونن عن النجاشى فقال اسمه بالا محرى «اجها» وأنه كان حاكما فى جوار « تبحفى دنسا » كما ان أخاه ابرهة كان يحكم فى « أقسوم » اهـ

نقول : ان ابرهة المذكور هنا ، هو غير « ابرهة الأشرم » صاحب واقعة الفيل ، الآتى ذكرها .

وقال فى صفحة ١٩٣ : وسألت الحاج محمد من عشيرة بنى عقيل ، ومن علماء « دلّو » عن النجاشى المذكور ، فقال : ان اسمه « اصحمة » أى « عطية » وهو مدفون فى محل يسمى « متكل العلامة » من أعمال مقاطعة « تيغرى »

وكان سيدنا جعفر بن أبى طالب لقيه فى المحل المذكور ، وهو قريب من عقامه (اغامى) وينعقد فيه كل سنة سوق كبير ، يأتى اليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشى . اهـ ملخصا

وفى الجواهر الحسان : ان قبره ببلدة « احمدنجاشى » بقرب حوزين باقليم تغرى

أما البطارقة ـ من قسيسين ورهبان ـ فقد لحق المهاجرين منهم ، من الأذى ، والتخويف، مالحقهم ، كماهو ثابت فى كتب الحديث والسير ، مما كان بعضه سبباً فى ارتداد أحد المهاجرين عن الاسلام ، وهو « عبيدالله بن جحش » وقد اعتنق النصرانية ، لينجو بها من الاضطهاد .

وقد همت البطارقة باحداث ثورة على النجاشى لعطفه على المهاجرين كما ستراه مفصلا فيما بعد .

ثم لا يخفى على المؤرخ المدقق ان عداوة الشعب الحبشى للعرب قديمة العهد ، نشأت من وقت ان كان عرب اليمن يخطفون الأحباش من سواحل الحبشة ، ويبيعونهم أرقاء فى جزيرة العرب ، وغيرها

وزادت هذه العداوة ، بعد عام الفيل ، وما جرّه من الويل على جنود الحبشة ، واستعانة العرب بعد ذلك بالفرس ، على طرد الحبشة من اليمن ، بعد أن استعمروها نحو ٧٠ سنة .

فلما دخل العرب المسلمون بعد ذلك إلى الحبشة يدعونهم إلى الاسلام ، وجدوا منهم أعداءً الدّاء .

ثم دار بينهم النضال من القرن الأول الهجرى ، إلى يومنا هـــذا مما سنوضحه جليًا فى هذا الكتاب بمعونة الله تعالى ، وحسن توفيقه .

علاقة الحبشة بالعرب

ترجع علاقة الحبشة بالعرب إلى عصر عريق فى القدم ، يبتدىء من وقت أن عرف العرب حاجتهم إلى الرقيق ، ليرعى إبلهم ، ويحلب نياقهم ؛ ويقوم بخدمتهم

وقد كانت سفن اليمن تسطو على سواحل الحبشة ، تتخطف نساءهم ، وأبناءهم ، وتبيعهم عبيداً فى أنحاء جزيرة العرب ، وغيرها .

ودلنا على ذلك قدم عهد العبيد ، والإماء الأحباش ، فى بلاد العرب ، يتخذون من الرجال رعاة ؛ ومن الإماء خدماً للبيوت

وكانوا إذا استولدوا أمة ، أبقوا أولادها على الرق ، إلاّ من ظهرت نجابته ، وشجاعته منهم ، فإنهم كانوا يلحقونه بأنسابهم ، كخُفاف بن نُدبه ، أبوه « عمير السلمى » وعنترة بن زَبيبة ، أبوه « شداد العبسى » وغيرهما ، ممن اشتهروا بالفروسية فى القرن الأول قبل الهجرة (١)

فإذا عرفت ذلك ؛ أدركت كيف نشأت عداوة الحبشة من القدم ، لقوم يسطون عليهم ، بين آونة وأخرى ؛ يخطفون أبناءهم ونساءهم ؛ ثم يبيعونهم سلعاً ؛ ويسترقونهم .

احتلال الحبشة لليمن

ذكر مؤرخو العرب خبر احتلال الحبشة لليمن ، بروايات ، مطولة ، خلاصتها : أن أحد ملوك اليمن واسمه « ذو نواس » كان يهوديا ، وكان يحمل الناس على اعتناق اليهودية .

---

(١) ومن فكيه أدعية العرب الجاهلية فى حجهم « اللهم وفق بين نسائنا ، وفرق بين رعاتنا » يرون أنه إذا وقع الشقاق بين عبيدهم ، تسابقوا الى المراعى الخصبة . واذا اتفقوا اجتمعوا على الغناء والرقص ، فلا تشبع إبلهم .

وكان أهل نجران نصارى ، وفيهم قليل من اليهود . فجاء إلى ذى نواس يهودىٌّ يتظلم من نصارى نجران ؛ ويزعم أنهم قتلوا ابناً له

فغضب ذو نواس ، وغزاهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وحمل من بقى منهم على الدخول فى اليهودية ، فأبوا

فصنع لهم أخدودًا فى الأرض ، وملأه ناراً ، ثم عرضهم عليه . فمن دخل فى اليهودية خلى سبيله ، ومن أبى ألقاه فى الأخدود . وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله : « قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ » (١) فأفلت منهم رجل ، يدعى « ذو ثُعلبان » حتى أتى «قيصر» ملك الروم ، يستنصره على ذى نواس ، فأرسله الى ملك الحبشة ، وكتب اليه يأمره بنصرته .

فارسل ملك الحبشة معه جيشا بقيادة رجل اسمه « ارياط » فدخل اليمن ، واحتلها باسم « النجاشى » ملك الحبشة ، بعد أن قتل ، وسبى ، وخرب البلاد . فولاه «النجاشى» ما ضمه اليه من أرض اليمن

وكان فى عسكره رجل داهية ، يسمى « ابرهة الأشرم » نازعه الملك ، ثم اقتتلا . فقتله ابرهة ، واستقل بالأمر . فأقره «النجاشى» على ملك اليمن .

وهكذا استنجدت العرب بالحبشة ، على رفع ظلم ، نالها من عاهلها ، فاحتلت بلادها ، فكانت كما قال الشاعر :

« المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار »

---

(١) سورة البروج — والأخدود الحفرة المستطيلة فى الأرض

لأن أبرهة حينما تم له الأمر ، بنى فى « صنعاء » كنيسة ، سماها القُلَّيْس وكتب الى « النجاشى » : « انى قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها . وسأصرف اليها حاج العرب »

وكانت العرب فى جاهليتها تحج الى البيت العتيق ، بمكة . وشاع بينهم ما عزم عليه « ابرهة » فجاء رجل من « بنى فقيم » فدخل القليس ، وأحدث فيه نكاية فى « ابرهة »

فبلغ أبرهة ذلك ، فأقسم ليهدمنّ البيت الذى تحج اليه العرب

ثم جهز جيشا من الحبشة ، وسار فى مقدمته راكباً الفيل ، حتى بلغ « الطائف » فارسلت معه « ثقيف » دليلا اسمه « أبو رغال » يدله على « مكة » ، فسار حتى إذا بلغ — مكاناً بقرب مكة — يدعى « المغمس » — هلك أبو رغال . والعرب ترجم قبره فيه إلى الآن

أما أبرهة : فأقام فى « المغمس » ، وأرسل نفراً من جيشه ، فاستاقوا ابل مكة ، وفيهم مائتا بعير لعبد المطلب سيد قريش

ثم ان أبرهة استقدم عبد المطلب اليه ، وهو جدّ النبى محمد ﷺ وكان رجلا عظيما وسيما . فأجله ابرهة ، وأخبره أنه جاء ليهدم البيت ، وأنه لايريد حربا

ثم سأل عبد المطلب عن حاجته ، فقال : « حاجتى ان تردّ إلىّ ابلى »

قال أبرهة : « أتطلب ابلك وتترك بيتا لدينك ، ودين آبائك ؟ »

فقال : « أنا ربُّ الابل ، وللبيت ربٌّ يمنعه »

فردّ عليه ابله . وذهب عبد المطلب الى مكة ، وأمر قريشا أن تعتصم بشعاب الجبال

ثم أمسك بحلقة باب الكعبة . يسأل الله قهر الحبشة ، وخذلانهم ، وهو يقول :

لاهمّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك

إلى أن قال :

جرّوا جموع بلادهم والفيل كى يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمرٌ مّا بدا لك »

ثم لحق بقومه الى شعب الجبال ، ينظر ما يفعل أبرهة .

أما أبرهة : فلما أصبح تهيأ لدخول مكة بجيشه ، ليهدم البيت ، وركب فيله، ووجهه الى مكة ، فبرك ، ولم يقم ، فضربوه ، وآذوه ، فلم يقم . فوجهه إلى ناحية أخرى . فقام . فأداروه نحو مكة ، فبرك .

فى هذه الساعة الرهيبة ، أرسل الله على أبرهة وجيشه جيشاً من جنوده « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ * وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ »(١)

وهذا الجيش طيور صغيرة جاءت تحمل حجارة دقيقة فى أرجلها ومناقيرها . وألقتها على أبرهة ، وجيشه ، فكانت لا تصيب أحدا إلا أهلكته

فارتدّ أبرهة ، ومن معه ، يتساقطون هلكى

---

(١) سورة المدثر

وفى قصتهم نزلت « سورة الفيل » وهى قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ »

فلما هلك أبرهة ، ومن معه ، من الحبشة ، قام بملك اليمن بعده ابنه « يكسوم » وكان جباراً ، فأذل العرب ، وأذاقهم أمرّ أنواع الظلم ، فى اليمن انتقاماً لأبيه وقومه .

فذهب سيف بن ذى يزن الى « كسرى » واستنصره على الحبشة ، وحسّن له ضم اليمن الى ملكه ، لما فيها من خير . فأرسل معه جيشا قويا تمكن من سحق من فى اليمن من الحبشة ، واحتلها . وسبى مابقى من نسائهم ، وأولادهم فازداد بهذا حقد الحبشة على العرب ، لأنهم كانوا سبب اجلائهم عن اليمن ، بعـــد أن احتلوها نحو ٧٠ سنة مع ابادة رجالهم ، واسترقاق نسائهم ، وذراريهم .

هجرة الصحابة الى الحبشة

وما لا قوه فيها من كرم « النجاشى » ، وأذى البطارقة

ان ماجبل عليه أصحاب الرسول ﷺ من مكارم الأخلاق ، وحفظ الجميل ، واحتمال الأذى ، فى بدء الاسلام ، جعلهم يذكرون ما نالهم من «النجاشى» من كرم ، وحسن جوار ، ويكتمون ما لحقهم من بطارقة الحبشة من الأذى ، والتهديد ، والتخويف

ولهذا لم ينشر المسلمون عن ذلك شيئاً ، ولم يخوضوا فيه .

ولكن الحقيقة لا تخفى على الباحث المدقق

وسترى بعد أن نسرد حديث الهجرة إلى الحبشة ملخصاً من كتب السير والحديث ، أن إقامة الصحابة الطاهرين ، رضوان الله عليهم ، فى الحبشة ، فى هجرتهم ، كانت محفوفة بالمكاره

ولولا « النجاشى أصحمة » وقوة سلطانه ، لا كرهوا على الدخول فى النصرانية أو القتل ، أو أعيدوا إلى « مكة » لكفار قريش ، يفعلون بهم ما يشاءون .

الهجرة الأولى

لما رأى النبى ﷺ ما لحق أصحابه الذين أسلموا من قومه ، وأقاربه من الأذى ، والتعذيب . أشار عليهم بالهجرة من مكة إلى الحبشة ، وقال لهم : ان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه (١)

فخرج من المسلمين احد عشر رجلا واربع نساء ؛ وعبروا البحر الأحمر الى الحبشة ، واستجاروا بالنجاشى ، فاجارهم . وعلم منهم بعثة النبى ﷺ فأكرم مثواهم . وذلك فى السنة الخامسة من النبوة

أما البطارقة (٢) من قومه ، فكانوا شديدى التعصب لدينهم . فعز عليهم

---

(١) تاريخ الطبرى ص٢٢٢ ج ٢

(٢) تقول العرب للقسيسين والرهبان بطارقة

أن تقام فى مدينتهم المسيحية شعائر دين آخر . (١) فاخذوا يهددون المهاجرين ويحرضونهم على التنصر . فثبّت الله المسلمين على ايمانهم ، الا واحداً ، وهو « عبيد الله بن جحش » فانه لضعف اسلامه ، ارتدّ ، تحت عوامل الضغط ، ودخل فى دين النصرانية . فلما تنصر كلفه البطارقة بأن يحرض المسلمين على التنصر . فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب الرسول ﷺ يقول : « فقّحنا وصأصأتم » أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر (٢)

فهال النجاشى هذا الأمر ، وأحاط المهاجرين بسور من عنايته ، ومنع البطارقة من التعرض لهم .

فثار البطارقة عليه ، وكادوا يخلعونه ، ولولا أن الله نصره عليهم لأفسدوا عليه أمره (٣)

وخشى المسلمون عاقبة هذه الثورة . وأشيع أن قريشا أجابت دعوة النبى ﷺ وأسلمت . فاحبّ المهاجرون اغتنام فرصة السلامة . فعاد أكثرهم الى

---

(١) لأن المهاجرين رضى الله عنهم كانوا يقيمون الصلاة فى أوقاتها علانية فى محلهم الذى أقامهم فيه النجاشى

(٢) كتاب ألف باء ص ٣٦٧ ج ٢

(٣) ذكر هذه الثورة ابن الأثير فى الجزء الثانى صفحة ٣٨ قال : وأقام المسلمون بخير دار . وظهر ملك من الحبشة فنازع النجاشى فى ملكه ، فعظم ذلك على المسلمين ، وسار النجاشى اليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون واحداً منهم ليأتيهم بخبره ، وهم يدعون له . فاقتتلوا . فظفر النجاشى . فما سر المسلمون بشىء سرورهم بظفره . اهـ

واشار اليها أيضاً الاستاذ « هيكل » فى كتابه «حياة محمد »

« مكة » وكان مكثهم فى الحبشة فى هذه الهجرة نحو ثلاثة أشهر . فلما قدموا إلى « مكة » وجدوا عنت قريش يزداد ، كما ازداد عدد المسلمين أيضا . فعادوا إلى الحبشة ثانية كما سيأتى

الهجرة الثانية

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير ممن أسلموا يبلغ ٨٠ رجلا ، عدا النساء والأطفال ، وقصدوا الحبشة ثانية . فرحب بهم النجاشى ، وأسكنهم مجتمعين ، ليقيموا شعائر دينهم ، وأسلم هو على يد جعفر بن أبى طالب ، لأنه كان مع المهاجرين فى هذه المرة

هنالك خشى كفار قريش أن يكون هذا العدد من المهاجرين قوة للتبشير بالاسلام فى الحبشة ، وانهم اذا تم لهم ذلك عادوا بجيش من الحبشة كبير لحربهم ونصرة رسول الله ﷺ لأن غزوة الحبشة لليمن ، ولمكة ، لاتزال عالقة بأذهانهم . فضلاً عن أن جيش الحبشة اذا جاء هذه المرة يكون لنصرة دين الله ؛ فلا يصده الله عن «مكة» كما صد جيش ابرهة الذى كان يقصد هدم بيته ، وأهلكه.

وفى رواية أخرى أن قريشاً أرادت ارجاعهم الى مكة ليقتلوهم بقتلى واقعة بدر .

فجمعت قريش هدايا نفيسة . لتقدم إلى النجاشى ، وهدايا أخرى لتقدم الى البطارقة ، وأرسلوها مع عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، وأفهموهما أن يتفقا مع البطارقة على أن يساعدوهما فى ردّ المهاجرين الى قومهم .

فلما قدما الى الحبشة ، قدّما الهدايا إلى البطارقة ، وأخبراهم بما وفدا من أجله . وطلبا اليهم أن يحولوا بين المهاجرين ، وبين النجاشى ، حتى لا يسمع كلامهم ـ لئلا يتأثر بفصاحتهم ، وحُسنِ ما يسمع من كلامهم

ثم قدما اليهم الهدايا التى للنجاشى ، فأوصلها البطارقة اليه .

فاستدعى عمرا وعبد الله ، وشكرهما ، وسألهما عن حاجتهما ، فقال عمرو :

« أيها الملك : انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاؤا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم ، من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائرهم ؛ لتردّهم اليهم . فهم أعلا بهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه »

فلما سكت ، تكلم البطارقة ، وحاولوا اقناع النجاشى بوجوب ردّهم إلى قومهم ، وابعادهم عن بلاده . ووجدوا بقدوم عمرو ، وعبدالله ، فرصة ثمينة تريحهم من هؤلاء الضيوف ، الذين يدينون بغير دينهم .

ولما كان النجاشى كما علمت قد أسلم ، وكتم اسلامه عن أصحابه ، وكان فى قدرته أن يرد وفد قريش ، بدون أن يسمع حجة المهاجرين . ولكنه أراد أن يُسمع أصحابه دعوة الاسلام ، رغبة منه فى أن تلين قلوب بعضهم اليه

لذلك أبى أن يبتّ فى الأمر قبل أن يسمع كلام المهاجرين وهم الخصم الثانى (١)

ولذلك طلب المهاجرين ـ فلما حضروا مجلسه ، قال لهم :

---

(١) قد اتبعت هذه السنة فى جميع ممالك العالم المتمدين حتى الآن . فلا تسلم دولة هاربا لجأ اليها قبل أن تسمع أقواله وأقوال من يطلب تسليمه

« ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا فى دين أحد من الملل » ؟ (١)

فتكلم جعفر بن أبى طالب : يصف له فضائل الاسلام ، وكان خطيب القوم ، وأشدّهم جرأة ، وقال :

« أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوىّ منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه . فدعانا إلى الله ، لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد ، نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة ، والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ، ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، — وعدد عليه أمور الاسلام —

ثم قال : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه ، على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ن عبادة الله ، وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا . خرجنا

---

(١) ابن الأثير ٣٧ ج ٢

الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك » [١]

فصدقهم « النجاشى » وأمَّنهم . وأبى أن يسلمهم إلى عمرو ، ورفيقه

فاختلى عمرو بالبطارقة ، وقال لهم : سأغدو على «النجاشى» بما يدعوه إلى ابعادهم ، عن بلادكم ، فانهم يقولون فى « عيسى بن مريم » غير ما تقولون ، فكونوا معى وشدوا ازرى . فوعدوه خيرا .

ثم غدا إلى « النجاشى » وقال له : إن هؤلاء يقولون فى المسيح غير ما عندكم فيه

فأحضر المهاجرين ، وقال لجعفر : هل معك مما جاء به نبيك عن الله من شىء فتقرأه علىّ ؟ فقال : نعم . وتلا من أول سورة مريم الى قوله تعالى « وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا »

فلما سمع البطارقة هذا القول، وعلموا أنه جاء مصدّقاً لما فى الانجيل، أخذوا

فقال «النجاشى»: ان هذا ، والذى جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة .

ثم أخذ عودًا من الأرض، وقال لجعفر: ماعدا عيسى ماقلت ، هذا العود .

فنخرت بطارقته . فقال : وان نخرتم [٢]

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٧

(٢) النخر صوت من الأنف أضعف من الشخير، يراد به الاستهزاء بالرأى ويفهم من هذا ، أن البطارقة لم يعجبهم قول النجاشى الذى كان فى مصلحة المسلمين ، فسخروا من رأيه ، فقال : وان نخرتم (أى على رغم أنوفكم)

وقال لعمرو ورفيقه : انطلقا . والله لاأسلمهم اليكما ، وردّ عليهما الهدايا وقال للمهاجرين : اذهبوا ، فأنتم آمنون [١]

فأقام المسلمون فى جواره ، رغم ارادة البطارقة ، حتى بعث النبىّ ﷺ فى طلبهم ، فعادوا إلى المدينة ، فتكون مدة إقامتهم بأرض الحبشة نحو ١٦ سنة وذلك فى سنة ٨ هـ (٦٢٩ م)

كيف كانت البطارقة تؤذى المهاجرين

روى البخارى فى صحيحه ، عن عائشة ، رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم سلمَـةَ ، ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبى ﷺ فقال : « ان أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك أشرار الخلق عند الله يوم القيامة »

فنعلم من هذا أن البطارقة كانوا يحرضون المسلمين والمسلمات ، على دخول كنائسهم ، ليحملوهم على اعتناق النصرانية ، وكانت نتيجة ذلك : ارتداد (عبيدالله بن جحش) — وهل يوجد أذى أكبر من هذا الأذى ، للمسلمين أليس هو من نوع الأذى ، الذى هاجروا من مكة بسببه . ؟

وأكبر من هذا ما صرحت به السيدة ، الجليلة ، «أسماء بنت عميس» رضى الله عنها ، وكانت فى الحبشة مع زوجها « جعفر بن أبى طالب » رضى الله عنه . فقد أبانت

---

(١) ابن الأثير ص ٣٧ جـ ٢ ملخصاً

ما كان يلحق المهاجرين ، من الأذى ، والتخويف ، فى الحبشة ، وقد أثبته صاحب « التاج » من حديث أبى موسى ، رضى الله عنه ، نقلا عن « البخارى » و « مسلم » قال :

أن أسماء بنت عميس ، حين جاءت من الحبشة ، دخلت على السيدة « حفصة » أم المؤمنين ، بنت عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهم ، تزورها ، فدخل عمر ، فقال : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ، البحرية هذه ، (أى التى ركبت البحر وهاجرت الى الحبشة) قالت أسماء : نعم .

فقال عمر : سبقناكم بالهجرة (أى بالهجرة الى المدينة مع رسول الله) فنحن أحق برسول الله منكم .

فغضبت . وقالت : كذبت ، ياعمر . كلاً ، والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ؛ وكنا فى أرض البعداء البغضاء (أى البعداء فى النسب البغضاء فى الدين) فى الحبشة ، وذلك فى الله ، ورسوله ، وايم الله ، لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ماقلت لرسول الله (ﷺ) ونحن كنا نُؤذى ونُخاف . وسأذكر ذلك لرسول الله ، واسأله ووالله : لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبي ﷺ قلت : يا نبي الله ، ان عمر قال كذا وكذا .

فقال رسول الله ﷺ ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان (١)

فانظر كيف قالت : كنا نؤذى ونخاف ، وأقسمت على صدقها ، وانظر

---

(١) مختصراً من التاج ص ٢٨٨ ج ٢

كيف عَدّ رسول الله ﷺ هجرتهم إلى الحبشة ، هجرة ، مستقلة ، لهم ثوابها ،وهجرتهم ، بعد ذلك إلى المدينة ، هجرة ثانية

وما ذاك إلا لما كان يلحقهم فى الحبشة ، من أذى البطارقة ، وأصحابهم .

هذا : وإذا تصورنا موقف أولئك المهاجرين ، الأخيار ، حين دعاهم «النجاشى» إلى مجلسه ، المرة، بعد المرة ، وقدرأوا عمرا ، وعبد الله، رسولى كفار قريش ، أتيا لأخذهم ، وسمعوا البطارقة ، يحرضون « النجاشى » على تسليمهم . لعدوهم .

وأسمعنا دقات قلوب المهاجرات ، الطاهرات فَرَقاً من أن يسمح « النجاشى » بردهنّ إلى قومهنّ يسومونهنّ سوء العذاب لهلعت قلوبنا جزعاً من هول ذلك الموقف المريع .

فأى حق بعد ذلك للحبشة، على المسلمين، المهاجرين ، حتى نذكره لهم ؟ وهم لم يكرموهم ، ولم يتعففوا عن أذاهم

وايم الحق لولا « النجاشى » المسلم ، ما استطاعوا أن يعيشوا فى الحبشة يوماً واحداً

الاسلام فى الحبشة من بعد الهجرة

انتهى بما تقدم كلامنا ، عن علاقة الحبشة ، بالعرب فى الجاهلية ، وماحدث فى هجرة بعض الصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة ، وعودتهم ، منها جميعا إلى المدينة ، بدون أن يتركوا للاسلام أى أثر فيها .

ونحن ذاكرون بعون الله حال الأسلام فى الحبشة ، من بعد الهجرة ، إلى هذه الأيام .

أول سرية اسلامية للحبشة

أراد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، أن يعجم عود الحبشة لينشر فيها الدعوة الاسلامية ، فوجه إليها سرية من المسلمين فى سنة ٢٠ ﻫ بقيادة « علقمة بن مجزز المدلجى » فلم توفق إلى شىء ، وأصيبت . فجعل عمر ، على نفسه ، أن لا يحمل فى البحر أحدا للغزو (١)

احتلال السواحل الحبشية اقتصاديا

تركت الحبشة ، وشأنها ، بعد سرية « علقمة » ولم يرسل اليها المسلمون حملات للفتح بقوة السيف ، ولكن أخذوا فى احتلالها اقتصاديا ، فتدفق سيل التجار المسلمين ، على سواحل الحبشة ، واستوطنوها ، وجعلوا يحتلونها شيئاً فشيئاً ، فأخذوا جزيرة « دهلك » ثم «مصوعاً» و«الزيلع»(١) ودأبوا على ذلك ، حتى أصبحت جميع سواحل الحبشة فى قبضة يدهم ، وأدخلوا فى الاسلام كثيرا من القبائل الوثنية .

---

(١) ابن الاثير ص ٢٨٠ ج ٢

(١) « مصوع » ثغر على شاطىء البحر الاحمر من سواحل « الاريتريا »
و « دهلك » جزيرة بجوارها .
و« زيلع » ثغر فى الصومال البريطانى ، على ساحل خليج عدن

مناعة بلاد الحبشة

كانت مملكة الحبشة قبل الاسلام ، وقاعدتها مدينة « أكسوم » على جانب عظيم ، من القوة ، والسطوة ، قوية الشكيمة . وحسبنا دليلا على قوتها ، تمكنها من احتلال اليمن ، مدة ٧٠ سنة تقريباً .

وقد زاد فى سطوتها مناعة أرضها ، وما وهبها الله سبحانه وتعالى ، من الحواجز الطبيعية ، التى تجعلها بعيدة المنال ، عن الفاتحين .

فان تلك الجنة الفيحاء ، التى تشمل الهضبة الحبشية ، محصنة ، بطبيعتها ، بجبال شاهقة ، وأودية سحيقة ، ومسالك وعرة ، وصحار قاحلة ، وأجواء مختلفة .

من أجل ذلك لم يحاول الخلفاء الراشدون ، ولا من جاء بعدهم ، من ملوك الاسلام ، فتحها عنوة ، فى الوقت الذى اكتسحت فيه جنودهم ، بلاد الشام ، والعراق ، ومصر ، وجاوزت بلاد فارس .

ولكن شاء الله أن ينشر فيها دينه عن طريق السلم .

انتشار الاسلام فى الحبشة

إننا وإن كنا لا نستطيع أن نذكر بالتفصيل ، كيف كان احتلال المسلمين ، لسواحل الحبشة ، سلماً بغير حرب ، وجعلها إسلامية ، ونشرهم

فيها الدين الحنيف ، بين القبائل المتوحشة ، حتى مصروهم ، وأوجدوا منهم جنوداً ، أشداء ، كونوا بهم قوة مسلمة ، ذات شأن ، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق ، والصفات ؛ إلا أننا نستطيع أن نبرهن على قيام دولة إسلامية ، عظيمة ، فى الحبشة ، نشرت سلطانها يوما مّا ، على جميع أرجائها ، زمنا غير قليل .

كيف وأين نشأت أول دولة إسلامية فى الحبشة

كان ممن نزل الحبشة ، مع التجار ، الذين نزحوا إليها ، من اليمن ، والحجاز ، جماعة من قريش ، من ولد « عقيل بن أبى طالب » وسكنوا فى ناحية ، تسمى « جبرت » (١) من أراضى « زيلع » وسموا بعد ذلك « الجبرتية » ، ولا يزال هذا الاسم لشعب كبير ، من المسلمين ، فى الحبشة كما سيأتى .

ولما وهب الله قريشا ، من الحزم ، والحكمة ، وعلو الهمة ، ولأنهم أهل الشرف ، والسيادة ، أينما حلوا ـ قام هؤلاء الأبطال بانشاء أول دولة إسلامية ، فى الحبشة ، وجعلوا قاعدتها « وفات » وهى « جبرت » ونظموا إدارتها ، وأحكموا أمرها ، ، فأطاعهم أهلها ، وأخذ سلطانهم يقوى ، ونفوذهم يمتد ، وملكهم يتسع . وكلما كونوا مملكة ، مهدوا السبيل ،

---

(١) « جبرت » وهى « وفات » أيضا : من أكبر مدن الحبشة ؛ ومن زيلع إليها ٢٠ مرحلة — راجع تقويم البلدان ص ١٦١ .

لتكوين غيرها . حتى إذا دخل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تم لهم فى الحبشة « سبع ممالك » زاهرة ، مزدهرة ، وسميت « الطراز الاسلامى » لأنها كانت كالطراز على سواحل الحبشة ، وهى :

١ مملكة وفات
٢ « دوارو
٣ « ارابينى
٤ « هديا
٥ « شرحا
٦ « بالى
٧ « داره

وكانت هذه الممالك كلها ، ذات مساجد ، وجوامع ، تقام فيها الجمعة ، والجماعة . وكانت البلاد على جانب عظيم ، من الخير ، والرخاء ، وجميعها متجاورة ، ماعدا « داره » فان أرضها داخلة فى نفس نواحى « امحرا » التى كانت قاعدة مملكة الحبشة وقتئذ .

وقد ذكر العلامة « القلقشندى » فى كتابه « صبح الأعشى » هذه الممالك ، ووصف بعضها ، وتكلم عن عدد عساكرها ، من فارس ، وراجل ، ناقلاً عن « مسالك الأبصار » لمؤلفه « شهاب الدين العمرى »

قال عن « وفات » والعامة تسميها « أوفات » ويقال لها أيضاً « جَبَرْت » والنسبة إليها « جَبَرْتِيَ » وهى أكبر مدن الحبشة ، على نشز من الأرض ،

وعمارتهامتفرقة ، ودارالملك فيهاعلى « تل » والقلعة على«تل » ولها واد فيه نهر صغير ، وتمطر فىالليل غالباً مطراً كثيراً .

وهى عامرة آهلة بقرى متصلة ، وهىأقرب أخواتهاإلى الديار المصرية ، وإلى السواحل المسامتة لليمن .

وهى أوسع الممالك السبع أرضاً ، وعسكرها ١٥ ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم ٢٠ ألفاً من الرجاله [١] اه

أقول : وفات واقعة شرقى هضبة « شوى » وهى أول مملكة اسلامية قامت فى الحبشة .

وقد ذكر العلامة « الشوكانى » فى كتابه « البدر الطالع » ترجمة لسلطانهامحمد بن أبى البركات بن أحمد بن على بن محمد بن عمرالجبرتى ، ونعته بسلطان المسلمين بالحبشة ، وقال انه تولى ملكهاسنة ٨٢٨ ﻫ (١٤٢٥م)ومات فى سنة ٨٣٥ ﻫ(١٤٣٢م) فى إحدىغزواته .

وقال : كان دينا ، عاقلا ، عادلا ، خيِّراً ، وقوراً ، مهاباً ، ذا سطوة على الحبشة ، أعز الله الاسلام فى أيامه .

ثم قال : وملك بعده أخوه ، فاقتفى أثره ، فى غزواته ، وشدَّته .

وكان يصحب الفقهاء ، والعلماء ، والصلحاء ، وينشر العدل فى أعماله ، حتى فى ولده ، وأهله . واسلم على يديه خلائق من الحبشه [٢] اه ملخصا

وقال القلقشندى عن مملكة « دَوَارُو » انها تلى « وفات » وهى

---

(١) صبح الأعشى ٣٢٥ ج ٥

(٢) البدر الطالع ١٤٢ ج ٢

صغيرة ، وضيقة ، ومع ضيقها ، فانها ذات عسكر جم نظير عسكر أوفات (١) اه

أقول : وتسمى أيضا « ادال » وقد فاقت « وفات » قوة ، وعظمة ، وموقعها شرقى « هرر » ولها قاعدة تسمى « دكر »

وقال القلقشندى عن « هديا » : هى جنوبى « وفات » وتلى «ارابينى» وصاحبها أقوى اخوانه . من ملوك هذه الممالك السبعة ، وأكثر خيلا ، ورجالا ، وأشد بأسا ، على ضيق بلاده عن مقدار « اوفات » (٢) . اه
وقال عن مملكة « بالى » التى تقع فى جنوب « شوى » ويقطنها الآن قبائل « غالا أروسى » إنها مدينة تلى « شرحا » ولكنها أكثر خصبا ، وأطيب سكنا ، وأبرد هواء منها جميعا .

وقال عن « دارا » إنها مدينة تلى « بالى » وهى أضعف أخواتها حالا وأقلها خيلا ، ورجالا ، وعسكرها لا يزيد عن ٢٠٠٠ فارس ، ورجالته كذلك (٣) اه

أقول : ان سبب ضعفها عن اخواتها هو لتداخلها فى أراضى « امحرا » بين بلاد الحبشة .

وقال القلشندى أيضا عن ذكر معاملات وأسعار الممالك الاسلامية

---

(١) صبح الأعشى ٣٢٦ جـ ٥
(٢) صبح الأعشى ٣٢٨ جـ ٥
(٣) صبح الأعشى ٣٢٩ جـ ٥

بالحبشة ما يأتى ملخصا : وليس بأوفات سكة تضرب ، بل معاملاتهم بدنانير مصر ، ودراهمها ، الواصلة إليهم صحبة التجار (١) اه

فمن هذه الجملة القليلة ، نعرف مقدار الصلة التجارية ، فى تلك الأيام . بين مصر . والممالك الاسلامية بالحبشة .

الرخاء فى الممالك المذكورة

وإذا أردت أن تعرف ما بلغته تلك الممالك من الرخاء . فانظر ما كتبه « القلقشندى » عن ذلك حيث قال ماملخصه :

« وأما الأسعار . فكلها رخيصة . ويباع بالدرهم الواحد عندهم ، من الحنطة حمل بغل . والشعير لا قيمة له . وعلى هذا فقس (٢)

نظام التوارث فى عروش هذه الممالك

قال القلشندى : والملك منهم فى بيوت محفوظة ، الا « بالى » اليوم فان الملك فيها صار إلى رجل ليس من أهل بيت الملك ، تقرب إلى سلطان « امحرا » حتى ولاه مملكة « بالى » فاستقل بملكها . على أنه قد وليها من أهل بيت الملك رجال أكفاء ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء .

قال فى مسالك الأبصار : وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها

(١ و ٢) صبح الأعشى ٣٣١ ج ٥

لا يستقل منهم فى ملك . الا من أقامه سلطان « امحرا » وإذا مات منهم ملك . ومن أهله رجال ، قصدوا جميعهم سلطان « امحرا » وتقربوا اليه جهد الطاقة ، فيختار منهم رجلا يوليه ، فاذا ولاه سمع البقية له ، وأطاعوا ، فهم كالنواب ، وأمرهم راجع اليه .

ولكن كلهم متفقون على تعظيم صاحب « أوفات « منقادون اليه [١]

غموض تاريخ الاسلام فى الحبشة قبل القرن الثامن

يسوءنا مع الأسف أننا لم نوفق الى العثور ، على وثائق نعتمد عليها ، ونعرف منها ماكان يجرى بين الحبشة ، والمسلمين ، قبل القرن الثامن ، وما قاساه هؤلاء ، من المشاق ، فى سبيل تكوين الممالك « السبع » التى انشأوها ، ومايدرينا ، لعل هناك كتب ، وآثار ، عن ذلك ، لم يسمح الدهر بظهورها ، من مكمنها بعد .

ولكن المسلم به ، أن علاقة الحبشة بمصر ، لم تنقطع ، وتلك العلاقة دينية ، مسيحية ، محضة . لأن تولية الاساقفة ، للكنيسة الحبشية ، تصدر من غبطة بطريرك الكرازة المرقسية ، بمصر ، وذلك من وقت دخول الديانة المسيحية ، الى بلاد الحبشة ، فى أوائل القرن الرابع للميلاد ، على يد الاسقف « فرومنتيوس » الذى عينه بطرك الاسكندرية ، اسقفا على الحبشة .

وقد عثرنا على وثيقة ، قليلة الكلمات . كبيرة المغزى ، رواها الطبرى ،

---

(١) صبح الاعشى ٣٢٢ ج ٥

وغيره ، تدل على قسوة الحبشة . وسوء جوارهم ، للمسلمين . وهذا نصها : قال : لما قتل مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين) ببلدة « بوصير » (من أعمال جيزة مصر) فى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) هرب ولداه « عبد الله » و « عبيد الله » الى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة ، بلاء ، قاتلهم الحبشة ، فقتلوا « عبد الله » وافلت « عبيد الله » فى عدة ممن معه . (١)

فانظر الى هذا الشعب الوحشى . كيف يقابل ضيوفا ، دخلوا أرضه ، يتخذون فى جواره حمى ، وأمناً ، من عدوهم ، فيقابلهم بالسيف ، يقتل بعضهم ويشرد البعض الآخر .

وقد وصل الينا أيضا عن طريق « المقتطف » كتابة طريفة ، نقلا عن كتاب « لباب الآداب » للأمير « اسامة بن منقذ » ننقلها بحروفها ـ وان كانت لا تتعلق بموضوع كتابنا ـ الا أنها تدل على شىء من جبروت ملوك الحبشة . قال :

« وصل رسول ملك الحبشة ، وكتابه ، فى سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م) الى الملك العادل ، أبى الحسن ، بن على ، بن السلار ، فسأله ان يأمر البطرك بمصر ، ان يعزل بطرك الحبشة (وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر)

فأمر الملك العادل ، باحضار البطرك ، فحضر ، وأنا عنده ، فقيل له : ملك الحبشة قد شكا من البطرك الذى يتولى بلاده ، وسألنى فى التقدم اليك بعزله ،

---

(١) الطبرى ١٣٤ جـ ٩ . أما ابن الاثير ، وابن الوردى فذكرا ان الحبشة قتلوا « عبيدالله » ونجا « عبد الله بمن معه

فقال : يامولاى . ماوليته حتى اختبرته ، ورأيته يصلح للناموس الذى هو فيه ، وماظهرلى من أمره مايوجب عزله ، ولايسعنى فى دينى أن أعمل فيه بغير الواجب ، ولايجوز أن اعزله .

فاغتاظ الملك العادل ، من قوله ، وأمر باعتقاله ، فاعتقل يومين ، ثم انفذ اليه ، وأنا حاضر ، يقول له : لابد من عزل هـذا البطرك ، لاجل سؤال ملك الحبشة فى ذلك ، فقال : يامولاى . ماعندى جواب غير ماقلته لك ، وحكمك ، وقدرتك ، انما هى على الجسم الضعيف ، الذى بين يديك ـ وأما دينى ، فمالك عليه من سبيل . ثم قال :

« والله ماأعزله ، ولو نالنى كل مكروه . »

فاطلقه العادل ، واعتذر الى ملك الحبشة . اهـ مختصرا [١]

نقول : ان شهادة بطرك مصر ، لبطرك الحبشة ، الذى عينه بنفسه ، بانه اختبره ، ووجده يصلح لما ولاه ، شهادة لايمكن أن تشاب بشىء غير الحق ـ فياترى أى شىء ينقم ملك الحبشة منه ، الا أن يكون الملك جباراً ، يأتى المظالم ، المخالفة للتعليم المسيحى ، والبطرك ينهاه عنها . و يرشده الى اتباع العدل ـ فتوسل ملك الحبشة الى ملك مصر فى الرجاء الى البطرك لعزله ، حتى يستريح من مضايقته ، اذلاسبيل له الى مسه بسوء .

وقد عثرت فى كتاب « الاعتبار » للأمير « ابن منقذ » أيضا ، على وثيقة نفيسة ، يستدل منهـا على ان الحبشة كانت تشن الغارة على البلاد

---

(١) المقتطف مجلد ٦٥ سنة ١٩٢٤

المصرية المجاورة لها ، وتتعرض لاهلها بالسوء ، وان الملك الصالح « طلائع » أراد أن يعين « ابن منقذ » والياً على « اسوان » ويمده بالمال ، والرجال ، ليتقوى على حرب الحبشة ، وكان ذلك فى سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) وهذا نصها :

« .. ثم اتصلت بخدمة الملك العادل « نور الدين » وكاتبَ الملك الصالح فى تسيير أهلى وأولادى ، الذين تخلفوا بمصر ، وكان محسنا اليهم ، فرد الرسول ، واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج .

وكتب الى يقول : ترجع الى مصر ، وانت تعرف ما بينى وبينك ، وان كنت مستوحشا من أهل القصر ، فتصل الى مكة ، وانفذ لك كتابا بتسليم مدينة « اسوان » اليك ، وأمدك بما تتقوى به على محاربة الحبشة ، فاسوان ثغر من ثغور المسلمين ، وأسير اليك أهلك ، وأولادك .(١)

ماذا كانت تضمر الحبشة للمسلمين

كانت ملوك الحبشة ، تنظر إلى هذه الدويلات ، المسالمة ، بعين الحسد ، والحقد ، لارتقائها مدنياً ، واقتصادياً ، فضلا عما كانت تكنه من العداوة للمسلمين ، من قديم .

لذلك : لم يحل لها مابلغته البلاد التى احتلها المسلمون ، وأصلحوها ، من الرفاهية . كأنهم خافوا عاقبة رقيها ، فأخذوا يتحينون الفرص للفتك

(١) ص ٢٥ الاعتبار طبع ليدن فى سنة ١٨٨٤ م

بالمسلمين ، وإبادتهم ،و احتلال ممالكهم ، وظهر ذلك جلياً بما كتبه المؤرخون في القرن الثامن الهجرى كما سنبينه .

الاسلام والحبشة فى القرن الثامن

لما دخل القرن الثامن الهجرى بدأ المؤرخون فى تدوين أخبار الحبشة ، وقد وضع المقريزى كتابه « الإلمام [1] » وذكر فيه « النجاشى اسحق ابن داود » الذى تولى على الحبشة سنة ٨١٢ ﻫ (١٤٠٩ م) فقال :

وهذا الملك قوى أمره بوفود قوم من الجراكسة إلى بلاده ، أنشأوا فيها مصنعاً للسلاح . كالسيوف ، والرماح . والخناجر ، بعد أن كانت « الحراب والنشاب » عماد سلاحهم

وكذلك انتظمت مالية دولته ، بوجود رجل قبطى ، من مصر ، ولاه أمر أموال المملكة ، فأحسن ضبطها ، وانماها ، فعمها اليسر والرخاء .

فعند ذلك طغى « النجاشى » وبغى ، واتفق مع رجال دولته على انتزاع ممالك المسلمين ، من أيديهم ، واجلائهم ، عن البلاد ، وابادتهم .

قال المقريزى : فلما تحضرت دولته ، وقويت شوكته . سولت له شياطينه ، أن يأخذ ممالك الاسلام ، فاوقع بمن تحت يده فى مملكة الحبشة من المسلمين ، وقائع شنيعة ، طويلة ، قتل فيها ، وسبى ، واسترق عالماً لا يحصيه إلا خالقه سبحانه .

---

(١) الالمام عما بأرض الحبشة من ملوك الاسلام طبع مصر سنة ١٩٠٨ م ص ٥ وقد ألفه سنة ٨٣٩ ﻫ (١٤١٥ م)

ثم كتب الى ملوك الافرنج يحثهم على ملاقاته ، لازالة دولة الاسلام ، وواعدهم على ذلك ، وأخذ فى تمهيد [١] ما بينه وبين البلاد الاسلامية ، واستجلاب العربان اليه . فعاجله الله تعالى بنقمته سنة ٨٣٣ ﻫ (١٤٢٩ - ١٤٣٠ م) اه

فهذه شهادة مؤرخ معاصر للحوادث ، التى كانت تجرى بين ملوك الحبشة والمسلمين . تظهر للقارىء ما جبلت عليه ملوك الحبشة وشعوبها ، من العداوة للمسلمين . فانهم لم يرعوا حق جوارهم . بعد أن قضوا على الوثنية فى بلادهم ، ومصروها ، وأقاموا فيها شعائر الاسلام الحنيف .

لهذا لم يجد المسلمون بعد ذلك بدًّا من اعداد العدة لمقاومة أعدائهم .

ولا شك فى أن نهوض الاسلام فى تلك البلاد كان كوسيلة لازمة لدفاع المسلمين ، عن أنفسهم ، وحريتهم ، تلقاء طغيان الاحباش الذين يختلفون عنهم دينا وجنسا .

حدود الحبشة وقتئذ

حصرت المملكة الحبشية ذلك الوقت ، فى الهضبة المرتفعة ، مابين « شوى » و « أمحره » و « تيجرى » وكان الشعب يعانى التعب ، والشقاء ، من الحكام ، وسوء ادارتهم

وكان نفوذ دولة المماليك يمتد الى شمالى الحبشة ، فقام رجل اسمه

(١) لعله يريد تعبيد الطرق واصلاحها

« يكونه أملاك » وأسس دولة حبشية وهى « الاسرة السليمانية » وأخذ يشن الغارات على المسلمين ، فى الجنوب . والجنوب الشرقى

فنهض المسلمون لدفع تعدى الاحباش ، وحمى وطيس الحرب بينهم ، ودامت هذه الحروب الفظيعة نحو ثلاثة قرون ، وبلغت أشدها فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حين تولى النجاشى « لبنا دنقل » Denghel وولده « كلاوديوس Calâwdewos » من بعده

وقد عانى المسلمون فى أيامهما شدة عظيمة ، وضعفت دولتهم ، التى جعلوا عاصمتها « هرر » سنة ٩٢٦ ﻫ (١٥٢٠ م) وكادت تنهار ، ويقضى عليها ، لولا أن قام من المسلمين شاب ، مقدام ، جسور ، اسمه « احمد بن ابراهيم » وجمع كلمة المسلمين ، وتولى أمرهم ، حتى لقبوه « الامام » و « الغازى » و « صاحب الفتح » لفتحه الحبشة ، والاستيلاء عليها .

وسماه الاحباش « جرانى . Gragn » أى اعسر ، فقد حمل على الحبشة ، حملات شديدة ، بمؤازرة الاتراك الذين كانت « جدة ، واليمن » فى قبضتهم .

وتوغل فى البلاد حتى انتهى ، الى الاقاليم الشمالية ، من « تيجرى » وبلغت حروبه مع الحبشة اقصى حد من الحماسة ، والاقدام ، لان المسلمين ، اعتبروها جهاداً . وغدوا يحاربون حرب المستميت ، باسم الدين ، حتى نفذت قواهم المادية ، والمعنوية

وقد وصفت هذه الوقائع التى تشيب لهولها الاطفال ، فى كتاب العلامة الشهاب « احمد بن عبد القادر الجيزانى » المدعو « عرب فقيه » والذى سماه « فتوح الحبشة »

ومن يطالع هذا الكتاب ، يجد فيه ، من ذكر أعمال « الفروسية » و « البطولة » و « هول الوقائع » التى قام بها المسلمون ، ما ليس له نظير ، فى الاخبار ، المتداولة ، عن الفتوحات الاسلامية الاولى

وانظر ماقاله المؤلف فى وصف واقعة « صمبر كورى » فى بلادشوى .

واقعة صمبر كورى

هذه الواقعة حدثت فى مستهل رجب من عام ٩٣٥ هـ ، وهى احدى سلسلة وقائع، استحرّ فيها القتل فى المسلمين ، وكادت الحبشان تقضى عليهم ، حتى ان كثيرا من الجهلة ، الضعيفى الايمان ، من المسلمين ، ارتدوا الى الكفر ، طلبا للنجاة ، من القتل ، والاضطهاد

واقعة بادقى

وقدسبق واقعة « صمبر كورى » واقعة « بادقىّ » كادت تذهب بجيش المسلمين ، لولا ان تداركهم الله بنصرمن عنده ، وكان المسلمون زاحفين اليها بقيادة الامام « احمد » فاخلى أمامهم الجيش الحبشى الطريق ، وكانوا كلما سألوا واحدا من الأهالى عن الجيش انكر وجود أى قوة هناك . وكانت « بادقى » هذه موضع بيوت الملك ، وخزائنه . فسار المسلمون اليها من غير ترتيب ، ولا تعبئة ، فلما اقتربوا منها ، صدمتهم عساكر الكفرة الذين اقبلوا ، كالجراد المنتشر ، وصدوا المسلمين عن دخول القرية . وكان

بين العسكرين نهر يسمى « سمرما » فبقى المسلمون فى أماكنهم إلى الصباح ثم عبر النهر منهم طائفة ، والتقت بالحبشة ، واشتبكوا فى معركة ، فوقع الرعب فى قلب رجلين من المسلمين ، فانهزما ، وانهزمت بانهزامهما جميع الفرقة ، وعبرت النهر على غير هدى ، فغرق منها جماعة

عند ذلك وقف الامام فى وجه الهاربين ، وصاح قائلا :

« أين تفرون ، اتفرون من الجنة ؟ وما هو الا أجل قد كتب »

فقال له احد أعوانه : « اضرب خيمتك هنا ، ونحن نقاتل دونك ، قتال العرب » (١)

فضرب خيمته ، واجتمع المسلمون حوله ، وثبتوا فى أماكنهم ، وقد خسروا بعض رجالهم .

ثم رأى الامام « احمد » ان هذه البقعة ضيقة ، ولا تصلح للقتال ، فرحل بعسكره متقهقرا ، وتبعتهم عساكر الحبشة ، حتى لحقوا بهم عند « صمبر كورى » .

فلما رأى المسلمون أن الكفار لاحقون بهم ، استشار الامام أصحاب الرأى فى عسكره ، فقالوا : « أما نحن ، فالقتال بغيتنا ، ومنانا ، ولا نزال نصر لهم على الضرب ، والطعن ، والقتال ، حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين »

ففرح بهم ، ودعا لهم . وباتوا يعدون العدة للصباح . فلما أصبحوا خطب

---

(١) يشير بذلك الى واقعة احد .

فيهم الفقيه « أبو بكر » المكنى « بارشونه » وبشرهم بالجنة ، وحذرهم من النار . وتلى عليهم قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وصَابِرُوا ، وَرَابِطُوا ، واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١)

فعندذلك عبأهم الامام « احمد » وصفهم ، ورتبهم . واصطفت الحبشة ، فكانوا سبعة صفوف . فهابهم المسلمون ، لكثرة عددهم . فاقبل الامام ، يثبتهم ، بدعائه ، ويقول : « اللهم اجعل كلاً منا صابرا ، ولدينك ناصراً »

ثم قال لعسكره : « إذكروا الله ، ولا تنظرو االيهم ، وانظروا إلى الأرض واستعينوا بالله عليهم ، واصبروا ، والله معكم ، وناصركم »

فلما اقترب الكفار منهم ، كانت سحابة من فوقهم ، تظلهم ، والمسلمون فى حر الشمس . فتضرع الامام ، ودعا ؛ وقال فى دعائه :

« ياالله ، ياحى ، ياقيوم ؛ يابديع السموات ، والأرض ، ياذا الجلال ، والاكرام ، ان هؤلاء اعداء نبيك ، وأعداء رسلك ، يأكلون رزقك ، ويعبدون غيرك ، فتظللهم ونحن المسلمون فى حر الشمس »

فما استتم الامام كلامه ، حتى زالت تلك السحابة عن رؤس الكفرة ، إلى رؤس المسلمين ، والى تعبئتهم ، فكانت تظللهم .

ثم حمل الكفار ، على المسلمين ، فاقتتلوا ، وحمى الوطيس بينهم الى وقت العصر

وخطب الفقيه « أبو بكر » فيهم ، وقرأ عليهم قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران . آية ٢٠٠

(إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَيَقْتُلُونَ ، وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ، فِي التَّوْرَاةِ ، وَالإِنجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١)

فضج المسلمون بالتهليل ، والتكبير . فألقى الله الرعب فى قلوب الأحباش فولوا الادبار ، وتبعهم المسلمون ، يقتلون ، ويأسرون ، حتى اختلط الظلام وتم النصر للامام « أحمد » وجيشه . اه

نقول : من يتصفح هذا الكتاب النفيس ، يدرك هول هذه الحروب ، التى كانت الحبشة تشنها على المسلمين ، فى كل وقت ، وناحية ، ليخرجوهم من بلادهم ، حتى أنهم استعانوا عليهم بالبرتغاليين ، الذين احتلوا جزءا من «افريقيا الشرقية » فأمدوهم ، بمدافع وجنود ، مدرّبين ، على استعمالها .

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (٢)

وجاء فى هذا الكتاب أيضا أن الامام « أحمد » بقى يقاتل الحبشة ، بجيشه البالغ عدد رجاله عشرة آلاف ، مدة ١٢ سنة ، من سنة ٩٣٧ الى سنة ٩٥٠ هـ (١٥٣١ — ١٥٤٣ م) ، ثم استشهد فى احدى المعارك .

وقد خلفه ابن أخته الأمير « نور بن مجاهد » على قيادة المجاهدين ، وسلطنة « هرر » فكان من خيرة القواد . وسماه المسلمون « صاحب الفتح الثانى » وهو الذى قتل النجاشى « كَلَاوْدِيُوس Galawdewos »

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) سورة البروج آية ٨

سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٩ م) فى احدى المعارك

وما زال قائماً بالأمر ، حتى لقى ربه سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ م)

ضعف السلطنة الاسلامية بعد ذلك

انتهى بموت الأمير « نور بن مجاهد » مجد سلطنة « هرر »الاسلامية ، فعادت الحبشة إلى عنتها ، وإلحاق الأذى بالمسلمين ، الذين عجزوا بعد تلك الحروب الطاحنة عن مقاومة تعدّى الحبشة عليهم ·

وزادت حالتهم تأخرًا فى بدء القرن الحادى عشر الهجرى ، حينما اخترق حدود الحبشة ، من جنوب نهر « وابى » شعوب « غالاّ » الوثنيين ، فانهم كادوا يقضون على الاسلام ، فى تلك البلاد .

وقد انتزعوا من أيدى المسلمين مملكتى « بَالىِ » و « هَدْيا » وتوغلوا فى هضبة الحبشة ، وجعلوا مقرهم مابين « هرر » و « شوى » و « أمحره » وانتشروا فى بلاد كثيرة . من الهضبة

أما مسلمو شرق الحبشة ، فتجمعوا فى « أوْسَه » واتخذوها مقرًا للامام عوضاً عن « هرر »

تحرش الدولة العثمانية بالحبشة

أما فى الجهة الشمالية ، فبقيت نار الحرب مستعرة ، بين المسلمين ،

والأحباش ، حتى استولى العثمانيون على « مصوع » فى سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٧م) وبدؤا يتدخلون فى شؤن الحبشة ، ويشدون أزر المسلمين ، فى المقاطعة التى تسمى الآن « الاريتريه »

فأثار ذلك ثائرة الحبشة ، وانتهى الامر بحرب عنيفة ، بينهم ، وبين العثمانيين سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨م) كان الظفر فيها للحبشة ، بقيادة النجاشى « مَلاك صاجاد Malak Sagad » الذى قضى على مطامع العثمانيين بفتح الحبشة

تأثير الاسلام فى الحبشة

إن الحملة الاسلامية التى قام بها الامام « أحمد بن ابراهيم » ومن بعده ابن أخته ، الأمير « نور بن مجاهد » لم تذهب سُدًى ، فقد كانت سبباً فى انتشار الاسلام فى الهضبة . حتى قلب الحبشة ، فى « دَمْبِيَا » و « وَكَنُو »

ولما قدم سفراء إمام اليمن إلى الحبشة فى سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨م) وجدوا بقرب « غندار » مدينة عامرة بالمسلمين ، لأن قسما كبيراً من قبائل « غالاّ » الوثنيين ، الذين سكنوا الهضبة الحبشية ، اعتنق الاسلام ، لما وجدوا فيه من الفضائل .

النجاشى المسلم

وحوالى سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) استولت قبائل « غالاّ وُلو » و « ايجو » على « بغمدر Beghemder » وعلى قسم من « امحره » فاصبح

رئيس « ايجو » المسلم ، وهو الرأس « كوكسا يملى ارادته على نفس « النجاشى » الحبشى .

ثم أصبح الرأس « على » ابن أخيه ملكا على الحبشة « نجاشيا » فكان ذلك فاتحة عهد جديد للمسلمين

نجاشى آخر مسلم

قال صاحب رحلة الحبشة فى الصفحة ١٥٠ :

« وقد غزا « محمد غرانى » هذه البلاد ، وفتح القسم الكبير منها ، وترك حكومتها على وشك الانقراض ، ولم تتخلص من وهدة الدمار ، إلا بمعاونة البورتغاليين الذين عقدوا عهدًا مع الحكومة الحبشية على إباحة دخول قسس الكاثوليك الى الحبشة فى نظير معاونتهم لها على المسلمين »

وقال فى الصفحة ١٨٦ عن « محمد غرانى » هذا مانصه :

« سألت آتو هيلامريم عن محمد غرانى المشهور بفتوحه هناك فقال : ان هذا الرجل كان من قواد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى على كل الحبشة مدة ١٥ سنة . انسحب النجاشى فى أثنائها الى « غوندار » ثم أخذت البلاد منه، وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين ، وان هؤلاء هم الذين أدخلوا من ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة ، لاول مرة » اه

عدو يمسى حبيباً ، وجار يظل عدواً

يندهش المطلع على تاريخ الحبشة حين يعلم أن المسلمين يجاورون الحبشة من القرن الاول للهجرة . ينشرون بينهم الفضيلة ، ويراعون ذمتهم .

والحبشة توالى عليهم الغارات ، وتسعى بكل الوسائل لابادتهم .

وأن قبائل «غالا» الذين هم على الوثنية ، بعد عداوتهم الشديدة للمسلمين ، وشن الغارات عليهم ، ينقلبون أصدقاء ، واخلاء ، فيدخلون فى الاسلام ، ويحفظون الولاء للمسلمين .

بقية السيف أكثر عددا

إذا فحصنا عن الحقيقة ، وجدنا أن جميع الحروب التى أقامتها الأحباش على المسلمين ، بقصد إقصائهم ، عن الحبشة ، أو إبادتهم من الوجود ، لم تكن تؤثر فى تعداد المسلمين ، بل بالعكس ، أصبح المسلمون أكثرية عظيمة ، بعد ان كانوا فى البلاد أقلية ضعيفة .

وقد صدق عليهم القول المشهور « بقية السيف أكثر عددا »

النهضة الاسلامية العلمية فى الحبشة

فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى ، الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، قامت نهضة إسلامية فى البلاد الملحقة اليوم بالحبشة ، وما حولها ، من المقاطعات ، شرقا ، وجنوبا ، بتأثير

ما بلغته « هرر » من التقدم فى العلوم الاسلامية ، بفضل اتصالها باليمن ، والحجاز

وقد تأثر بذلك أيضا غرب الحبشة ، بعد أن فتح السودان فى أيام المغفور له عزيز مصر الأكبر «الحاج محمد على باشا »

وقد بلغ التقدم الاسلامى أوج مجده أيام احتلال مصر لزيلع (١)

و «هرر» (٢) فى حكم المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، ذلك الاحتلال القصير الأمد ، من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٣٠٢ ﻫ (١٨٧٥ - ١٨٨٤ م)

وقد لحظ علماء الافرنج وكتابهم ذلك التقدم ، ونوهوا به ، فقد لاحظ الكاتب النمساوى « بولشكى Paulitschke » الذى زار « هرر » فى سنة ١٣٠٢ ﻫ (١٨٨٥ م) ان فيها عددا كبيرا من المبشرين المسلمين (يقصد الكاتب بلفظة المبشرين علماء الاسلام)

وقال حين زار « غالاً » الواقعة غرب مدينة « هرر » ما ملخصه :

---

(١) فى جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ ﻫ (يونيه ١٨٧٥ م) أرسلت الدولة العلية للخديو اسماعيل مايفيد إحالة منية زيلع وملحقاتها على الحكومة المصرية مقابلة ١٥ ألف جنيه عثمانى تعلى على الجزية . (٦٤٦ التوفيقات الالهامية) .

وفى ربيع الأول من سنة ١٣٠٢ ﻫ (ديسمبر ١٨٨٤) صرحت انجلترا لايطاليا باحتلال زيلع أو مصوع .

(٢) هرر فتحها العساكر المصرية تحت قيادة محمد رؤوف باشا فى سنة ١٢٩٢ ﻫ ثم انسحبت العساكر منها فى سنة ١٣٠٣ ﻫ (١٨٨٥ م) راجع التوفيقات الالهامية

«مما أدهشنى فى بلاد «غالا» كثرة الدعاية الاسلامية الغيورة فيها . وقد لاحظت ان الشافعية فى « هرر »على اتصال دائم بالحرمين . فى جزيرة العرب ، وان المئات من الشبان يأتون « لزيلع » و « بربرة » كل سنة ، للتبشير (أى لنشر الدين الاسلامى) ويتسع نطاق أعمالهم الدينية ، ويتقدم بسهولة ، بين قبائل الصومال ـ وان لم توجد فيهم روح الاسلام الصحيح كثيرا ـ

وقد وزعت الحكومة المصرية ، على المسلمين ، فى « هرر » عندما احتلتها عددا عظيما ، من المصاحف الشريفة ، الجميلة الطبع . أكثرها مطبوع فى مطبعة بولاق الأميرية ، حتى ان مسلمى « شوى » حافظوا أشد المحافظة على قواعد دينهم ، وكانت قوافل الحاج ترد منهم كل عام الى « تَغُرَّه » و « زيلع »اه

وكتب الماجور « هُنتر » Hunter فى رجب سنة ١٣٠١ هـ (ابريل سنة ١٨٨٤ م) يقول : « انه من المحتمل اسلام جميع القبائل ، اذا دام الحكم الحاضر بضع سنوات أخرى »

محمد رؤف باشا حاكم « هرر »

كان رؤف باشا الحاكم المصرى«لهرر»قد أصلح الفاسد من اخلاق الصوماليين ، واستمال قلوبهم اليه ، فتعلقوا بمحبته ، ـ لأنه قتل أمير «هرر»

المسمى « محمد عبد الشكور » الذى اشتهر بظلمه . وسوء سيرته ونشر الدين فى « هرر » والعدل ، والنظام

ومما يؤثر عنه قوله للصوماليين : « أنتم تدعون بأنكم مسلمون ، ولكن الشريعة الاسلامية ، تنهى عن القتل . فضعوا ، إذا أحببتم ، ريشة النعام البيضاء ، على رؤسكم ، ولكن ضعوها بعد ان تكونوا أتيتم عمل الجندى الباسل ، فى قتال قانونى ، لا بعد ان تكونوا ارتكبتم جريمة القتل ، بالاغتيال ، والخديعة (١) »

تعدى الأحباش على « هرر » الاسلامية

بعد ان أخلى المصريون ، امارة (هرر)وانسحبت منها حاميتهم المصرية ، فى رجب سنة ١٢٩٢ هـ (ابريل سنة ١٨٧٥م) أعيد إلى عرش الامارة «الأمير عبدالله . بن على » فلم يحل ذلك للرأس « منليك » صاحب « شوى » فاغار عليه بجيشه ، وقاتله فى (جلنقو) فى سنة ١٣٠٥ هـ (يناير سنة ١٨٨٧ م) وهزمه ، ففر الى بلاد « اوجادين »

---

(١) قبائل الصومال تميل الى القتل ، فاذا قتل أحدهم واحدا من الناس ، كان له الحق فى أن يضع فوق رأسه ، ريشة بيضاء من ريش النعام ، ويعرف عدد ضحاياه بعدد ماعلى رأسه من الريش . وعندهم ان الشاب الذى ليس على رأسه ريشة نعام بيضاء لا يعد صالحا للزواج ـ لذلك ـ تلقاهم إذا شرع واحد منهم فى الزواج . أخـــذ يبحث أولا على ضحية من القبائل المجاورة ، أو الأجانب الرواد ، يبرر بقتله أخذ يد خطيبته . اهـ رحلة الحبشة ص ٤٨و٤٩

وقام بعده ابن عمه (على) فلم تطل مدته ، مع حامية المدينة ، التى كانت من الجنود الأحباش ، فقبض عليه بأمر حاكم « شوى » وأرسل اليه ، فزجه فى سجن « شوى »

أما المسلمون الذين كانوا يقطنون فى الهضبة الحبشية فقد لاقوا من العذاب ، والأذى ، والاضطهاد ، شيئاً كثيراً

حرق جامع غوندار واضطهاد المسلمين

أما فى القسم الشمالى من بلاد الحبشة ، فان الرأس (كاسا) اغتال الرأس (على) سنة ١٢٦٩ ﻫ (١٨٥٣ م) ودعى نفسه (نجاشيا) على الحبشة فى سنة (١٨٥٥ م) وسمى نفسه (تيودوروس) فجعل همه اضطهاد المسلمين والحاق الأذى بهم ، وتعطيل شعائرهم الدينية ، حتى أنه أشعل النار فى جامع عاصمة (غوندار)

وبعد ان انتحر فى حربه مع الأنكليز فى سنة ١٨٦٨ م قام بعده النجاشى « يوحانس » فزاد فى الأساءة إلى المسلمين ، لأنه كان يرى أن الأسلام خطر على مملكته ، بعد أن توسعت الحكومة المصرية الاسلامية فى فتوحاتها ، واحتلت السودان ، ومصوّع ، والهضبة الاريترية الشمالية ، فضغطت على حدود الحبشة غربا وشمالا

الحملة المصرية على الحبشة

ولا يخفى أن مصر كانت جهزت حملتين ضد الحبشة ، الأولى كانت فى سنة ١٢٩٢ ﻫ (١٨٧٥م) بقيادة جنرال دانمركى، فقهرت ، وقتلت عساكرها فى واقعة « غندات » أو « غودًا غودى » على مرأى من النجاشى « يوحانس » والثانية كانت بقيادة الأمير « حسن باشا » ابن الخديوى « اسماعيل باشا » فدحرها الأحباش أشد اندحار ، فى موقعة « قراع » سنة ١٢٨٨ ﻫ (١٨٧١م وأسروا من نجا من القتل ، وأجبروا ضباطها المصريين ، على أن يمروا أمام الجمهور وهم عراة استهزاء بهم وسخرية .

اكراه خمسين ألفا من العامة على التنصر

وذكر المؤرخ الشـــهير « ارنولد » Arnold فى كتابه النفيس The Preaching Of Islam المطبوع فى Westminster عام ١٨٩٨ م ان خمسين ألفا من المسلمين ، أكرهوا فى سنة ١٨٨٠ م على قبول العماد

ونشأ طبعا عن هذا الضعف الدينى ، اشتداد العداوة الدينية ، والجنسية بين الحبشة ، والمسلمين ، وهاجر من المسلمين عدد عظيم عن طريق القلابات فرارا بدينهم ، وأصبح حى الاسلام فى مدينة « غوندار » عام ١٣٠٠ ﻫ (١٨٨٣ م) خاويا ، خاليا من سكانه

وهب سكان بلاد « وُلُّوغالا » فى الجهة الشرقية من مقاطعة « امحرا » إلى الثورة ، تلقاء الاضطهاد الحبشى للاسلام .

فزحف اليهم النجاشى « يوحانس » « ومنليك » ملك « شوى » سنة ١٣٠٣ ﻫ (١٨٨٦ م) وأمعنا فى النفوس قتلا ، وذبحا ، وفى البلاد تخريبا وهدما ،

الانتقام الالهى من النجاشى يوحانس

وقد انتقم الله سبحانه ، من النجاشى « يوحانس » فلقى حتفه ، فى واقعة « القلابات » على يد الدراويش فى (مارس سنة ١٨٨٩ م) الذين انتقموا للمسلمين ، من اضطهاد الحبشة لهم ، والتعرض لدينهم .

أنشودة حماسية ضد المسلمين

من جراء هذه الحروب ، المتتابعة ، ازداد الحبشة بغضا على بغض للمسلمين وأخذوا ينشدون الأغانى بوجوب الفتك بهم .

وقد نقل الرواد أنشودة ، يتغنى بهـا أحباش « أمحره » وترجمتها الى العربية هكذا :

« لقد ولدت هذه البقرة فى العـام الماضى ، وثدياها فى هذه السنة لا يزالان ممتلئان ، فكيف يطيب لنا العيش اذا لم تذبح هذه البقرة ؟ »

والتورية فى هذه الأنشودة محصورة فى الكلمة الأمحرية « إجسْلام » فاذا نطق بها هكذا « اجس لام » (Egges—lam) كان معناها « هذه البقرة » واذا نطق بها « اج اسلام » (Egg—eslam) كان معناها هؤلاء المسلمون .

فانظر الى أى درجة بلغت عداوة الأحباش للمسلمين

النجاشى منليك والأسلام

فلما تملك النجاشى «منليك» على الحبشة ، آلى على نفسه ، ان يخضع جميع الممالك الاسلامية ، والبلاد الوثنية ، المتاخمة للهضبة الحبشية ، فبدأ بامتلاك «أوسة » الواقعة فى السهل المنخفض للجهة الشرقية ، وقد اتخذها المسلمون مقرًّا لهم ، بعد ذهاب « امحرا » منهم

ثم أخضع بلاد « الأوجادين » و « غالا أروسى » و « غالابورانه » وأقاليم « لِموُّ » و « جِمَّا » و « لِيا كَّة » و « ولاَّغه » ومملكة « كفَّا » التى يقطنها شعب « سداما »

ولما وقعت « لموُّ » بيد الأحباش فى سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) كان جميع أهلها قد أسلموا ، منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى) تبعا لحاكمهم «أبَّا باغيبو»

وكانت هذه المقاطعة فى سنة ١٢٩٦ الهجرية (١٨٧٩ م) قد بلغ بها الإسلام

أوج عزه ، وقد اعتنقته الطبقات الفقيرة ، التى مزجت به كثيرا من عقائدها القديمة .

وقد حضر إلى هذه المقاطعة طائفة من القراء ، والعلماء لارشاد اهلها ، وغير ا كثر السكان اسماءهم باسماء اسلامية ، «كمصطفى» و « على » و «عمر» الا أن الرؤساء حافظوا على أسمائهم الحربية ، بلغة « الغالا » ومازال السواد الأعظم من أهل « لِمُّو » مسلمين .

وهذا مما يدل على استعداد تلك القبائل ، المتوحشة إلى اعتناق الاسلام والتمتع برفاهيته ، ومدينته ،

ولكن قلة المرشدين إلى الدين الصحيح ، تجعلهم يتخبطون فى عقائده تخبطا

واذا أضفنا إلى ذلك حرص ملوك الحبشة ؛ على اضطهاد المسلمين ، والحيلولة بينهم وبين تقدمهم ادركنا أن الاسلام فى الحبشة يمشى زاحفا على أرض شائكة

سلطنة جما الأسلامية

كانت « جما » سلطنة وثنية ، وأسلم أهلها فى النصف الأول من القرن الماضى ، بعناية تاجر مسلم مشهور باسم « نقادى شوى » و « بَخمْدَر » ومعنى « نقادى » أى « دليل القافلة » ، وأصبحت سلطنة اسلامية ، وملكها السلطان محمود بن داود المشهور باسم « أبَّا جفار » أى صاحب الحصان الكميت وهو من الألقاب التى يلقب بها الأبطال عندقبائل الغالا)

وقد تولى حكمها فى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م) وكان على علاقة حسنة ، مع الحكومة الحبشية ، ومعيناً لها فى ادارة البلاد الداخلة ، وهو المرجع الاعلى فى المحاكمات ، واليه ترجع حماية الأجانب فى الأسواق ، باشراف (نقاد راس) أى رئيس التجار .

ومع كل هذه المعونة التى كان يبذلها سلطان (جِمّا) للحبشة ، توجهت الى سلطنته اطماع الحبشة ، فاعتدت على استقلالها ، وأدخلها «منليك» تحت حمايته فى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) تاركا لها استقلالها الداخلى ، كباقى مقاطعات الحبشة المسيحية

وقد ابرم معها النجاشى (منليك) معاهدة نص فيها بأنها تظل مملكة وراثية فى سلالة « أبّا جفار » وعليها أن تؤدى جزية سنوية ، إلى حكومة «اديس ابابا » وكانت حكومة « اديس ابابا » تزيد فى مقدار هذه الجزية سنة بعد سنة ، قاصدة أضعاف هذه السلطنة ، الاسلامية ، الوحيدة ، فى الحبشة .

وكانت ترى ان زيادة الضرائب تؤدى الى الثورة ضد «أبّا جفار» سلطانها ، ولكن لتعلق الأهالى المسلمين ، بسلطانهم ، لم تنجح هذه التجربة .

كيف كانت سلطنة جما فى نظر المسلمين

لما كانت سلطنة جما هى السلطنة الاسلامية الباقية فى الحبشة ، كانت الملجأ الوحيد لكثير من مسلمى الأحباش ، الذين يميلون إلى الأمن ،

والدعة ، باعتبارها السلطنة الاسلامية الوحيدة . التى بقى لها استقلالها الداخلى

ويجدر بنا فى هذه النقطة أن نذكر ما كتبه « السير دارلى » H. Darley فى كتابه الانكليزى المعنون Slavs and Tvory المطبوع فى لندرا سنة ١٩٢٦ ميلادية فى وصف أعمال السلطان « ابَّا جفار » وهى شهادة لها قيمتها حيث قال : ماترجمته : لم يكتف السلطان « ابَّا جفار » بان خلص أمته من براثن الاحباش ، بل قادها الى حياة الرخاء ، والغنى ، بتعزيزه التجارة فى البلاد وحسن السياسة ، حتى انى اعتقد انها ستصير أغنى الدول الافريقية ، وأسعدها .

على أننى أخاف على مصير هذا الشعب ، الهادىء ، المحب للسلم ، والراحة ، عند وفاة سلطانه « ابا جفار » لانه لايمر فى قطره حبشى ، إلا وينظر اليه بعين الطمع ، ويسيل لعابه ، من فرط الشهوة ، على خيراته .

فلا شك أن الحبشة سيقصدون الاستيلاء عليه ، إذ من أمثالهم السائرة ، قولهم : « بعد السنغالا الغالا » فلو قدر ، وتحقق مبتغاهم ، لاصبح هذا القطر ، بعد زمن قصير ، على الحالة التى عليها سائر اقاليم الحبشة - لان سعادة « جما » منوطة بنشاط شعبها ، وحسن حكم ملكها الحر ، المتساهل ، الذى لا يألو جهداً فى تشجيع الصناعة والتجارة »

هذا ماقاله الكاتب الانكليزى الشهير « السير دارلى » فى كتابه القيم ، فاصاب برأيه السديد كبد الحقيقة ، لأن ملوك الحبشة عز عليهم ، أن توجد فى أمبراطوريتهم ، الواسعة ، سلطنة اسلامية ، وقد تحقق ظنه بالغاء هذه السلطنة .

الغاء سلطنة « جما » الاسلامية وضمها للحبشة

لما توفى « أبّا جفار » الى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٣ هـ (سنة ١٩٣٤) وخلفه على عرش السلطنة ابنه « عبدالله » أخذ النجاشى الحالى « هيلاسلاسى » يضيق الخناق على استقلال « جما » وفرض عليها شروطا ، لا تطاق .

ثم أعلن ضمها الى مملكته ، أى نزع منها استقلالها الداخلى ، ضاربا بالمعاهدة التى أبرمها معها النجاشى « منليك » سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) عرض الحائط .

وبسقوط هذه المملكة ، الاسلامية ، الزاهرة ، لم يبق فى الحبشة سلطنة اسلامية ، مستقلة ، بعد أن كانت الممالك الاسلامية فيها سبعا ، فى عصر واحد ، لكل واحدة منها جيش خاص ، وادارة خاصة ، واستقلال فى داخليتها ، كأنما ملوك الحبشة يعتقدون بأن قيام دوله اسلامية ، فى الحبشة قوية ، تكتسح كل دين فيها وتجعلها « امبراطورية اسلامية افريقية »

ولكن اثبت التاريخ غير ما يظنون . فقد ذكر صاحب « مسالك الأبصار » بعد تعداد هذه الممالك ما نصه :

« وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها ؛ لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان « امحرا » .

ثم قال وهذه الممالك ضعيفة البناء ، قليلة الغناء لضعف تركيب أهلها

وقلة محصول بلادهم ، وتسلط « اَلحطّى » (أى النجاشى) سلطان « امحرا » عليهم .

ثم قال : وهم مع ذلك كلمتهم متفرقة ، وذات بينهم فاسدة ولو اتفقت كلمة هؤلاء الملوك السبعة ، واجتمعت ذات بينهم ، لقدروا على مدافعة « الحطى » أو التماسك معه ، ولكنهم مع ماهم عليه من الضعف ، وافتراق الكلمة ، بينهم تنافس ، وهم على ما هم عليه من الذلة ، والمسكنة للحطى ، عليهم قطائع مقررة ، تحمل إليه فى كل سنة ، من القماش . والحرير ، والكتان ، مما يجلب إليهم من مصر ، واليمن ، والعراق اه

والعاقل لا يشك فى أن ملوك الحبشة ، كانت توقع العداوة ، بين هذه الممالك الاسلامية ، وتنفرها من بعضها ، بالدسائس ، حتى لا تجتمع كلمتها ، على القيام فى وجهها .

زواج الرؤس المسيحيين بالنساء المسلمات
فى الحبشـــة

إذا رأى أحدالرؤس الأحباش ، أوسواهم ، منالحكام ، امرأةمسلمة ، فانه يتزوجها ، وهو على النصرانية ، ولا يستطيع المسلمون ، أن يعارضوه وإلا عرّضوا أرواحهم ، للقتل ، وأموالهم ، للنهب .

وقد يتخذها خِدناً وهو أحد أنواع الزواج عندهم

جاء فى رحلة الحبشة ما خلاصته بتصرف :

إن الزواج عند الأحباش المسيحيين ثلاثة أنواع :

الأول : يسمى « روموز » ويتم بأن يطلب الرجل من المرأة ، أن ترضاه بعلا ، فان رضيت ، دخلت في عصمته ، ويتفرقان ، متى أرادا .

الثانى : الزواج المدنى بتراض من الطرفين ، وحضور الشهود

الثالث : الزواج الدينى على يد القسيس

والنوع الأول هو اتخاذ الاخدان ، وأى امرأة مسلمة حبشية ، يطلب منها الحاكم المسيحي أن تكون له خدنا وتأبى ؟ انها ان رفضت أمره جاءت لنفسها وأهلها بالطامّـة الكبرى

وإليك ما كتبه صاحب «صبح الأعشى» فى الجزء الخامس بالصفحة ٣٢١

قال : وكان الفقيه « عبد الله الزيلعى » سعى فى الأبواب السلطانية ، عند وصول رسول « الحرا » إلى مصر ، فى تنجيز كتاب « البطريرك » إليه ، بكف أذيته عمن فى بلاده ، من المسلمين ، وعن « أخذ حريمهم » ، وبرزت المراسيم للبطريرك بكتابة ذلك

فكتب اليه عن نفسه كتابا ، بليغا ، شافيا ، بعبارات أجاد فيها .

ثم قال المؤلف : « وفى هذا دلالة على الحـال » اه أى دلالة على حال المسلمين هناك ؛ والتعرض لنسائهم ، وهى حال من أسوأ الحالات . التى وصلت اليها أقلية مسلمة ، فى دولة متمدنة ، أو متوحشة ، وهذه مصيبة عظمى ، لم يصب بمثلها المسلمون ، فى غير الحبشـة

تنصير المسلمين فى الحبشة

الفوضى الدينية فى الحبشة بالغة حدها ، وملوك الحبشة يكرهون اقامة شعائر المسلمين الدينية ، ويظهر لك ذلك جليا ، واضحا ، من قصة الرأس « ميخائيل » وولده النجاشى « ليدج اياسو » فقد كان الشاب « محمد على » المسلم من رؤس قبيلة « ولو غالا » فأعجب به النجاشى « منليك » فحمله على التنصر ، فارتد ، بلا تردد ، وتسمى بالرأس « ميخائيل » وتزوج احدى بنات « منليك » فولدت له ولدا تسمى « ليدج اياسو » فأحبه جده وقدمه ، وجعله وارث عرشه

ولما مات النجاشى « منليك فى سنة ١٣٣١ ﻫ (١٩١٣ م) ارتقى عرش الحبشة « ايدج اياسو » فأظهر ميلا ، وعطفا ، على المسلمين ، كأنما عرف أن أباه كان مسلما .

ويظن الكثيرون أن « ليدج اياسو » قد أسلم ، لما كان يظهره من المحبة ، والعطف ، على المسلمين ، على عكس ماكان يفعله ملوك الحبشة

ولما تأججت نيران الحرب الكبرى ، وامتلأت ممالك الدنيا بالجواسيس كان فى الحبشة بعض الألمان ، والترك ، فشجعوا « ليدج اياسو » وحسنوا له تاسيس « امبراطورية اسلامية فى افريقيا الشرقية » وفعلا أخذ يهتم بتحقيق هذه الأمنية .

فلما علم رجال الاكليروس ، والرؤساء الأقباط بذلك ، اضطربوا ، وخافوا العاقبة

فاتفقوا مع « المطران » والراس « تفرى » وعقـــدوا اجتماعا ، فى « أديس أبابا » وخلعوه ، وأنزلوه عن عرش « اثيوبيا » فى سنة ١٣٣٤ هـ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦) ونادوا بالأميرة « زوديتو » ابنة « منليك » امبراطورة على الحبشة ، على أن يخلفها الرأس « تفرى » ابن الرأس « ماكونين » على العرش

وفى سنة ١٣٤٩ هـ (سنة ١٩٣٠ م) توفيت الامبراطورة « زوديتو » فنودى بالراس « تفرى » امبراطوراً على الحبشة . وسمى «هيلاسلاسى »

أما «ليدج اياسو» فقبض عليه ، وأودع السجن سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١م) ثم تمكن من الفرار فى سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ولكن قبض عليه ثانية ، والقى فى احدى قمم « هرر » فى سجن منفرد ، وأشيع بعد ذلك أنه مات .

وكان قد تزوج بأمرة مسلمة ، تسمى « دنكله » ورزق منها بولد ، سماه « منليك » على اسم جده ، يبلغ الآن نحو ١٩ سنة ، يعيش بائساً فى « تغره» فى الصومال الفرنسى .

وذكر الأب « متاؤس » فى رسالة نشرها بمناسبة خلع « ليدج اياسو » واعتقاله ، حمل فيها على « ليدج » المذكور حملات شديدة ، قال فيها : « ان هذا النجاشى لم يكفه أنه جحد إيمانه المسيحى (مما يدل على أنهم اعتقدوا أنه اعتنق الاسلام) بل رضى ان يشيد لهم أى للمسلمين جامعا فى « دير داوه » اه

انظر كيف عدوا رضاءه قبول بناء جامع للمسلمين ، يقيمون فيه شعائر دينهم ، ويعبدون ربهم ، جريمة كبرى ، تبرر خلعه وزجه فى اعماق السجون

فى هذه الحكاية القصـــيرة ، نرى ان النجاشى دعا رجلا مسلما ، الى التنصر ، فأجابه خوفا وطمعاً

وان « ليدج اياسو » تزوج بامرأة مسلمة ، وهو على دين النصرانية

وإذا شئت أن تعرف مابلغه ظلم ملوك الحبشة ، للمسلمين ، الذين يرفضون الدخول فى النصرانية ، فاقرأ ماجاء فى « رحلة الحبشة » فقد وصف فيها مؤلفها ، تلك الوحشية ، التى تمثل أفظع جرائم الظلم ، قال :

« وكان عنـــد المتمهدى رجل من أعيان الأحباش ، يسمّى « محمد جبريل » وفد على المتمهدى ، واتبعه ، فارسله الى الحبشة ، ليدعو جميع المسيحيين فيها ، إلى الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الايمان بالمهدية ، والخضوع للمهدى

فصدع « محمد جبريل » بأمر المتمهدى ،

فلما رأى النجاشى « يوحانس » سعى هؤلاء . ودعوتهم . شغل هذا الأمر باله ، وبات فى هم عظيم . وأخذ من ذلك الوقت ، يضطهد المسلمين . . .

فادى اضطهاده هذا ، الى هجرة كثير منهم ، والتجائهم الى شيعة المتمهدى وأقاموا محلا لاقامتهم ، فى المكان المسمى « عراديب » شمالى « القلابات » وسموه « تبارك الله » .

ثم قال : ورأيت بعينى بعض المسلمين ، الذين كان « يوحّانس » قــد قطع أيديهم ، وأرجلهم »

فانظر كيف ان النجاشي لم يجد عقابا للمسلمين الذين لم يقبلوا الدخول فى النصرانية ، سوى تقطيع أيديهم ، وأرجلهم ، من خلاف ، كما فعل «فرعون مصر» فى السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام .

***

فرغنا من ذكر حال المسلمين ، فى الحبشة ، فيما مضى ، وسنذكر أحوالهم ، ومواطنهم ، وعددهم ، فى هذه الأيام ، ونقارنها بحال اخوانهم ، الساكنين فى البلاد المجاورة لمملكة « أثيوبيا » ليعلم المسلمون ، فى مختلف الأقطار ، أن مسلمى الحبشة مع ما تحملهم حكومة النجاشى ، من متاعب هم عضلات سواعدها ، وشرايين حياتها ومنابع ثروتها ، ولحام قوتها

ولو أنها قابلت اخلاصهم لها ، مقابلة الدول الأخرى ، لرعاياها المخلصين لأصبحت من أرقى الممالك شأنا ، وأعزها مكانا

مواطن الاسلام داخل حدود الحبشة

أولا — ينتشر المسلمون فى جميع أرض الحبشة ، بين كثرة وقلة . ففى جنوب الحبشة ، وشرقها ، طائفة كبيرة ، من المسلمين ، يقيمون فى « هرر » و « أوجادين » ولهم ارتباط شديد بمسلمى « أروسى »

وفى الغرب أكثرية المسلمين فى جهات « غالهالغوما» و «غما» و «قيره » « ولموانا ريا » و «جما» و « جارو » و « شمارو » و « البا » و « هديا » « ضَضَكَّه »

أما سكان «غوراغه» و «ننو» و «واليزو» فهم خليط من المسلمين، والمسيحيين.

ثانيا — وفى غرب «أديس ابابا» توجد قبائل «وُرْجِى» و «كَـتِّى» وهم مسلمون.

وربما كانوا من سلالة طوائف اسلامية، كانت تقيم على طول الطريق التى كانت تربط مسلمى الشواطىء الافريقية الممتدة على البحر الاحمر، بالشعوب الاسلامية فى غرب الحبشة.

وهذه الطريق مهملة الآن.

ثالثاً — ويقيم فى «شوى» و «امحراه» و «التغرى» جماعات من المسلمين. وقد انتشروا فى تلك النواحى، وربما كان بينهم قبائل منحدرة من أصل يمنى

رابعا — جميع سكان «اوسة» من بلاد «الدناكل» مسلمون.

تعداد المسلمين فى الحبشة

لم يحصل فى الحبشة احصاء يوثق به، ولكن اختلف الاحصائيون فى تعدادها، تعداداً بوجه التقريب وأقربه أن تعداد سكان الحبشة تسعة ملايين، منهم ثلاثة ملايين مسلمون، وثلاثة ملايين ونصف مليون مسيحيون. ومليونان ونصف مليون على الوثنية، وأديان أخرى.

وقيل: إن تعداد الحبشة ١٢ مليونا منها ٨ ملايين مسلمين، وهذا وان

كان أكثر من الحقيقة على ما يظن ـ الا أنه يشير الى وجود أكثرية عظيمة ، للعنصر الاسلامى ، فى الحبشة .

أسماء الشعوب الاسلامية فى الحبشة

يعرف المسلمون فى الحبشة . بأسماء مختلفة ، كاسلام (وهم المسلمون من أصل حبشى)

ونقادى ، (وهم التجار) . وهذه التسمية تدل على أن التجارة ، فى يد المسلمين .

وجبرتى ، وهم بنو عقيل بن أبى طالب ، الذين سكنوا جبرت فى بدء دخول المسلمين ، إلى الحبشة ، وأسسوا مملكة « وفات » وهى أول مملكة إسلامية فى الحبشة ، كما قدمنا ، ثم انتشروا فى بقية البلاد .

أما مسلمو السهول الواطئة ، فيسمون « نباده » أو « إسلام بحرى » أى المسلمون الذين جاؤا من البحر .

لغات المسلمين فى الحبشة

يتكلم أكثر المسلمين فى الحبشة اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن ، وقد حافظوا عليها من عهد دخول أجدادهم من عرب اليمن ، والحجاز ، الى البلاد وتتكلم كل طائفة ـ عدا ذلك ـ بلغة المقاطعة التى تعيش فيها . وهذا

طبيعى بداعى المعاملة ، فمسلمو شمال الحبشة يتكلمون اللغة « الامحرية » وسكان اراضى « هرر » لهم رطانة بربرية .

وفى غرب الحبشة ، وجنوبها ، تسيطر اللغتان « الغالية ، والصومالية »

المذاهب الاسلامية فى الحبشة

أكثر مسلمى الحبشة يتعبدون على مذهب الامام « محمد بن ادريس » الشافعى رضى الله عنه

ويوجد فى بعض الانحاء الشمالية « أحناف » وقليل من الحبشة من هم على مذهب الامام « مالك » رضى الله عنه

ولا يوجد فى الحبشة حنابلة ، وهذا أمر طبيعى ، لان الحنابلة معروفون بشدة تمسكهم بالسنة المحمدية ، وتصلبهم فى دقة اتباعها ، تصلبا حملهم فى كثير من العصور على مقاتلة مخالفيهم .

ولو كان فى الحبشة « حنابلة » لابادتهم الحروب ، أو يقيمون السنة بحذافيرها

نشاط المسلمين الطبيعى فى الحبشة

الرواد الذين جابوا بلاد الحبشة ، طولا ، وعرضا ، ودرسوا طبائع سكانها واحتكوا بالأهالى ، زمنا طويلا ، ووقفوا على سر حياتهم الاجتماعية ، ومبلغ مداركهم ، شهدوا بان مسلمى الحبشة عموما ذوو نشاط ، وعلى جانب عظيم ،

من الذكاء ، ولهم التفوق على غيرهم ، من السكان ، فى حلبة تنازع البقاء ،

وقد صدق أولئك الشهود ، العدول ، إذ لولا ذلك ، لجرفهم سيل الطغيان الحبشى ،وآبادهم بكثرةالحروب ، وابتزازالأموال ، والضغط عليهم ، من ملوك الحبشة ، ورؤسها ، فى جميع مرافق الحياة

الصناعة ، والزراعة ، والتجارة

يتعاطى المسلمون فى الحبشة ،مختلف الحرف ، والصناعات المفيدة ، ولهم حظ وافر فى التجارة

وقد ذكرت الجرائد فى هذه الأيام ، أن التجار فى الحبشة ، قدموا للأمبراطور ، مساعدة مالية ، كبيرة ، قدرت بملايين الجنيهات ، والريالات ووعدوه بمساعدات أخرى مثلها

وقد مرّ أن أغلب تجار الحبشة مسلمون ، ولئن كانت هذه المساعدة عن طيب خاطر ، فهم أهل لها ، ولمثلها

وان كانت عن طلب ، وضغط شديد ، فشىء احتملوه ، واعتادوه ، من قديم ، فانهم مهددون بالمصادرة . فى كل لحة ، فما ظهرت على أحدهم آثار نعمة ، الاطمع الرؤساء بسلبها منه .

وهنا نثبت ما كتبه المرحوم صادق باشا العظم فى رحلته للحبشة بالصفحة ١٥٩ وهو فى « اديس ابابا » قال : « وأتى لزيارتنا « آتو بالا ينتخ » الرجل

الذى كنا تعرفنا عليه فى مرحلة « تاديجا مالكا » وقد كان اكرمنا غاية الاكرام؛ وأراد أن يهديني بغلا ، وكنت رأيته فى « تاديجا مالكا » بملابس ثمينة ، وعلى رأسه قبعة جميلة ، وعليه ثوب من الجوخ الأسود ، مبطن بالحرير .

ولكن لما جاء لزيارتنا هنا ، رأيته بعكس الهيئة المذكورة ، اذ كان حافى القدمين ، مكشوف الرأس ، وملابسه قميص ، ولباس ، مصنوعان من البفتة السمراء ، وعليها ثوب من اللباد العريض

وجلسنا نتكلم ، وكان صاحب المنزل ، يترجم كلامنا .

فسألت المترجم عن سبب ذلك ، من غير أن يشعر الرجل

فقال : أنه عند ما يكون فى العاصمة ، يضطر لمقابلة كثير من الرؤساء ، والأمراء فلذلك يرتدى بالملابس البسيطة . اظهاراً للتواضع . والخضوع والطاعة . حتى أن بعض الأغنياء منهم . يتظاهرون فى بعض الأحيان بالفقر والفاقه . أمام الرؤساء .

وهذا يعد من جهة « تواضعا » ومن جهة أخرى ، بابا للوصول الى السلامة ، من طمع الطامعين .

وقد ترك زائرى جميع خدمه ، وبغاله ، فى « شولا » وحضر وحده الى « أديس أبابا » . اه

وهذه الحكاية على قلة كلماتها ، قد ذكرها المؤلف ، ولم يعلق عليها بشيء ، مع أنها ذات معنى كبير ، ومغزى خطير ، يدلنا على ما عند رؤساء

الحبشة ، وملوكها ، من الكبرياء ، والجبروت ، فى معاملة المسلمين . اذ يعز عليهم ، أن يروا فى بلادهم ، مسلما يظهر عليه أثر النعمة ، والثراء ، ويعدون ذلك منه امتهانا لمقامهم .

ولا يحلو لهم إلا إذا كان فقيراً ذليلا .

سهولة نشر الاسلام فى الحبشة بين الشعوب الوثنية

يجد دعاة الاسلام ، فى الحبشة ، مرتعاً خصيباً ، فى الشعوب الوثنية ، لنشر الاسلام لما يجدون فى هذا الدين ، القويم ، من الفضائل ، التى تقوم على العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة . والنظافة ، والبعد عن الفحشاء

وقد لاحظوا ذلك طبعاً فى معاملاتهم للمسلمين ، فكان الرؤساء الوثنيون يدخلون فى الدين الاسلامى ، فرحين . مستبشرين ، ويلحق بهم جميع متبعيهم وسرعان ماينقل هؤلاء من الخمول إلى النشاط ، ويطرحون الكسل جانبا ، كما حصل فى القرن الماضى

وقد عانى المبشرون بالمذاهب المسيحية ، الشدة ، فى ادخال الوثنيين ، فى حظيرتهم ، أو رد مسلميهم عن الاسلام ، فلم يحصلوا على شىء من الفائدة

ومما يليق ذكره هنا ما رواه الرحالة « شكىّ » عن الحاكم « جيره » المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) أنه وصلت اليه نسخة من الوصية ،

التى نشرها خادم الحجرة النبوية الشريفة ، وقال فيها أنه رأى النبى (ﷺ) فى نومه فأمره أن يرشد المسلمين ، إلى العمل بشرعه ، وسنته .

فلما قرئت على الرأس « جيره » أسلم من فوره ، وتبعه كثير ممن هم تحت سلطانه ، ودخلوا فى الأسلام .

وعلى أثر ذلك تناقل الناس نسخاً من هذه الوصية . وانتشرت فى « افريقيا الشرقية » حتى بلغت « تانجانيقا » سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ولجأ اليها المسلمون ، فى نشر الأسلام ، وتقوية دعائمه .

تأثير الطرق الصوفية فى نشر الأسلام

ومن الوسائط الفعالة ، والتى كانت . ولا تزال ، أكثر الوسائط نفعا وأشدها تأثيرا ، فى نشر الاسلام ، وتمكين روابطه بين المسلمين فى الحبشه هى الطرق الصوفية ، والقائمون بها هناك على جانب عظيم . من التقوى ، والصلاح وحب الاصلاح

فمن هذه الطرق « الشاذلية « و « القادرية » و « الختمية » .

وقال المرحوم صادق باشا العظم فى رحلته بالصفحة ١٦٧ انه سمع بعض المسلمين فى الحبشة ينشدون قصائد فيها إسم الشيخ « عبد القادر الجيلانى » صاحب الطريقة القادرية ، رضى الله عنه .

ومشايخ هذه الطرق يجتهدون فى حث اتباعهم ، على المحافظة على اقامة

الفرائض والسنن ، وعلى نشر الدين المحمدى ، ماوجـــدوا لذلك سبيلا ، واتباعهم ينقادون الى أوامرهم ، ويعملون بها قدر المستطاع

حسنات الطرق الصوفية فى الحبشة

من حسنات هذه الطرق فى الحبشة ، أنها تؤدى أعمال الجمعيات الخيرية الاسلامية ، فتذكى نار الحماسة ، فى صدور اتباعها ، وتجعلهم قوة متحدة ، على نشر العلم ، والفضيلة .

وقد فتحوا المكاتب ، والمدارس ، المجانية ، فى جميع البلاد ، والقرى التى لهم فيها اتباع ومريدون .

لذلك : نجد الاهالى يتفانون فى حب مشايخهم ، فيجعلون قبورهم بعد موتهم « مزاراً » يقصدونه ، للزيارة ، والتبرك .

ومن أشهر قبور الأولياء هناك قبر الشيخ الصالح « نور حسين » من شيوخ الطريقة الاحمدية ، التى أسسها السيد « احمد بن إدريس الاسيرى » فهو محط الرحال ، فى مقاطعة « أروسى »

وقد ترجمت حياة هـــذا الشيخ الجليل ومناقبه ، فى ثلاث مجلدات ، وطبعت باللغة العربية فى القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ووزعت على المسلمين ، القاطنين ، فى جنوب الحبشة ، وغربها

علاقة مسلمى الحبشة بالممالك الاسلامية

لقد استطاع المسلمون فى الحبشة ، أن يجعلوا بينهم ، وبين الممالك الاسلامية المجاورة لهم ، روابط ثقافية ، واقتصادية ، متينة ، كمصر التى فيها « الجامع الازهر » المعمور . وقد أمه فيما مضى طلاب كثيرون ، لاخذ العلم ، ولهم فى الازهر الشريف « رواق » شهير يسمى « رواق الجبرتية » نبغ منه كثير من جهابذة العلماء ، كالشيخ الامام الزيلعى فخر الدين عثمان ابن على شارح الكنز المتوفى سنة ٧٤٣ ﻫ (١٣٤٢ م) ، والمحدث الكبير الزيلعى جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ٧٦٢ﻫ (١٣٦١م) ، والعارف بالله الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان قايتباى ، وقد توفى سنة ٨٩٩ﻫ (١٤٩٣م) كما نص عليه ابن اياس ، والشيخ حسن بن برهان الدين الجبرتى وولده المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتى صاحب التاريخ المشهور المسمى « عجائب الاثار . فى التراجم والاخبار » والشيخ احمد بن محمد الجبرتى والذى كان شيخاً على الرواق فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى

ومما يستحق الذكر هنا أنه لما توفى الشيخ « بشرى » شيخ هذا الرواق وهو من اقليم « تغرى » وقع نزاع بين الطلاب ، لأن أهالى « تغرى » ، وهم الجبرتية ، كانوا أكثرية فيه ، وطلبوا من مشيخة الأزهر الشريف أن يعين الشيخ من بينهم ، لزعمهم أن الرواق ، إنما هو وقف عليهم ، وأن ليس لمسلمى أقاليم « أمحره » و « شوى » و « هرر » نصيب فى تعيين المشايخ منهم .

ولما اشتد بينهم النزاع ، رأت المشيخة أن الرواق ، وإن كان يسمى « رواق الجبرتية » للتغليب ، إلا أنه فى الحقيقة رواق لجميع مسلمى الحبشة .

وعلى هذا الرأى تعين الشيخ « احمد محمد » من « مصوع » شيخاً للرواق المذكور .

البعثة الأزهرية للحبشة

وفى سنة ١٩٣٤ م ، أرسلت مشيخة الأزهر الشريف بعثة اسلامية ، دينية إلى الحبشة لترشد الأهالى المسلمين إلى الدين القويم ، وهى مؤلفة من صاحبى الفضيلة «الشيخ محمود النشوى » و «الشيخ يوسف على يوسف »

وقد استبشر مسلمو الحبشة بهذه البعثة المباركة ، وقد ورد منها للمشيخة تقرير طريف ، عن وصف مهمتها . وهذا نصه ، نقلا عن كتاب « المسألة الحبشية » .

« لما كان الجامع الأزهر الشريف ، مبعث الهداية الاسلامية ، ومشرق نورها ، فى جميع أنحاء الدنيا ، اتجه إليه المسلمون من جميع الاقطار ، يطلبون منه فى إلحاح أن يبعث إليهم من صفوة خريجيه ، من يرشدهم ، ويفقههم ، فى أمور دينهم ، وينشر بينهم الثقافة الاسلامية ، واللغة العربية .

وكان من بين البلدان التى تقدمت إليه بهذا المطلب « جنوبى أفريقيا » و « أمريكا » و « اليابان » وبلاد « الحبشة » .

وقد سارعت مشيخة الازهر الجليلة إلى دعوة خريجى قسم التخصص ، واختبرتهم اختبارا عاما بعد أن ألفت لجنة عليا لهذا الغرض ، وكان من حسن حظنا أن ندبتنا مشيخة الأزهر للذهاب إلى بلاد الحبشة ، لنشر الثقافة الاسلامية فيها .

وقد سافرنا من « بور سعيد » فى يوم ٣١ يناير سنة ١٩٣٥ وقد وصلنا إلى « اديس أبابا » عاصمة « أثيوبيا » يوم ٦ فبراير ، وكانت رحلتنا إليها جميلة ، وسارة ، وقد فرح المسلمون بقدومنا ، وأقبلوا علينا مرحبين ، مهنئين ، شاكرين ، لمصر ، وللجامع الأزهر ، فضله عليهم ، وتلبية طلبهم ، وقد وجدنا فى العرب ، ومسلمى الحبشة أهلا بأهل ، وإخوانا باخوان .

ولا يفوتنا شكر رجال القنصلية المصرية ، وفى مقدمتهم حضرة القنصل الكريم ، فهم مافتئوا يساعدوننا بمعلوماتهم ، واختباراتهم .

وبعد أسبوع من وصولنا ، أعنى بعد أن خفت الزيارات ، وقلت وفود المرحبين ، بدأنا عملنا فى مدرسة « نادى الاتفاق الاسلامى » واتخذنا من المسجد ميدانا لالقاء العظات التى رأينا أنها تنفع مسلمى هذه البلاد

أما المدرسة ، فان العمل فيها شاق إلى أقصى حد ، نظراً لاختلاف أسنان الطلبة فيها ، وتباين بيئاتهم ، وتعدد لغاتهم ، ففيها أحباش ، وعرب يمنيون ، وحضرميون ، وهنود ، وأتراك ، وصومال . والطلبة الأحباش أنفسهم من مقاطعات مختلفة ، مما يجعل الدرس الواحد ، يعادل خمسة دروس ، فى مصر ، على الأقل . ولكننا فى الوقت نفسه نجد سرورا فى

العمل بها للتقدم الحسن الذى نشاهده فى طلبتها . وقد أصبح سهلا عليهم ، وخصوصا طلبة الفرق المتقدمة أن يفهموا العربية الصحيحة .

ونحن نقوم الآن بتدريس أهم المواد ، وأشقها ، كالتوحيـد ، وفقه الشافعى ، والتاريخ ، والاخلاق الدينية ، وتحفيظ القرآن الـكريم ، بطريقة تجعلهم يدركون المعنى الاجمالى لـكتاب الله .

وقد وجدنا فى استعداد أبناء المدرسة الفطرى ، وذكائهم الطبيعى ، خير معوان لنا ، على أن نتقدم بالأولاد فى هذه المدة الوجيزة التى قضيناها بينهم فى المقررات الموضوعة رغم أنها فى حاجة إلى تهذيب . فهى بوجه عام فوق مستوى الأولاد ، ونرجو فى المستقبل أن نوفق لاقناع القـائمين بادارة المدرسة بذلك ، حتى نعمل على تعديلها بما يناسب مدارك الطلبة ، وتحقيق الأمل المنشود فى هؤلاء التلاميذ ، الذين لا شك فى أنهم ستتغير بهم حالة مسلمى الحبشة ، متى صاروا رجالا

وأما الوعظ ، فاننا نرى ان الحبشى مفطور على حب الدين ، واجلال رجاله . والعقل الحبشى من أخصب العقول لتلقى العظات ، والانتفاع بها ، فهم قوم قلوبهم طاهرة نقية ، فحينما يلقى أحدنا العظة يترامى الناس ، وخصوصا الأحباش ، على يديه ، وكتفيه ، بل رجليه ، لثما ، وتقبيلا .

ومما يدل على أن احترام الأحباش لرجال الدين عامة ، ان المسيحيين منهم ، حينما يقابلوننا يحيوننا بالانحناء الشديد ، وبرفع قبعاتهم ، اجلالا ، وتلك هى التحية الحبشية .

ونحن نرجو أن نصل بالمسلمين منهم إلى الاكتفاء بالتحايا التى يجيزها « الاسلام » فحسب

وقد تخيرنا من موضوعات الوعظ ، « التعليم » والحث عليه . ومما لاحظناه أنه يندر أن تجد مسلما لا يعلق التمائم ، والأحجبة ، المتعددة ، الكثيرة ، على صدره . وهذا يدل على أنهم يعتقدون فى الدجالين ، والمشعوذين ، ويقدمون اليهم نفسهم ، ونفيسهم ، على فقرهم وحاجتهم

وكذلك وعظناهم فى «البغاء وضرورة الابتعاد عنه » وخاصة لما يترتب عليه من الأمراض الخبيثة ، المنتشرة فعلا بينهم ، والتى لايهتمون بعلاجها . كمانهيناهم عن كثير ممايفعلونه ، فى أعراسهم ، ومآتمهم ، والاسلام لايجيزه . وأنه ليسرنا أن نجد نصائحنا ، وعظاتنا ، تنفذ إلى قلوبهم ، ويعملون بها

وانا لجادّون الآن فى دراسة ، عادات البلاد ، وأحوالها الاجتماعية دراسة جدية ، مع النظر فيها من الوجهة الاسلامية ، حتى تكون عظاتنا مبنية على أساس متين . ولا يفوتنا أن نذكر ان من طرق الوعظ ، والتعليم ، فى هذه البلاد ، افتتاح المنازل ، والقاء دروس بها ، وافتاء من يحضر للاستفتاء بها . ونحن مجاراة للعرف نستقبل الناس يوميا بعد أداء أعمالنا الأخرى

وقد عرض علينا كثير من الفتاوى ، فأجبنا بما كان موضع الثقة ، والقبول .

ومما تحسن الاشارة اليه أن الفتيا ، والقضاء فى هذه البلاد ، على مذهب إمامنا الشافعى ، رضى الله عنه . وهو المذهب الذى يعتنقه معظم مسلمى

الحبشة ، والذى يقوم بالقضاء بينهم قاض واحد « باديس ابابا » وحكمه نافذ ، إلا إذا استؤنف أمام هيئة أخرى من العلماء ، وكثيراً ماقمنانحن بمهمة النظر ، فى القضايا المستأنفة ، وهو ما يستلزم منا مراجعة ، وبحثاً طويلين

ومما استفتينا فيه أخيرا انشابا تزوج بفتاة بكر ، وفىاليوم التالى لزواجه بها طلب استرداد المهر ، مدعيا أنه وجدها ثيبا ، فرفع والد الفتاة دعوى أمام القاضى ، طالبا حد المتهم حد القذف . . . وأشباه ذلك مما يعرض علينا كثير

وفى البلاد هيئات متعددة ، منها « نادى الاتفاق الاسلامى »و «الجمعية الوطنية » و « جمعية التعاون » وصلتنا بنادى « الاتفاقالاسلامى » وثيقة بحكم عملنا الرسمى وهوأهم هذه الهيئات ، وأغناها ، وأنفعها ، وأوسعهانفوذا ونحن نرجو أن توجد فى المستقبل القريب فى هذه البلاد ، شبيبة حبشية ، مسلمة ، تقوم على أكتافها نهضة تتقدم بها هذه البلاد النبيلة » اه

وبمناسبة هذه البعثة نقول :

لوأنمشيخة الأزهر الموقرة ، تعدلهذهالمأمورية المهمة طلاباً منالحبشة من « رواق الجبرتية » فتخصهم بعنايتها ثم ترسلهم بعد ذلك الى بلادهم ، بمرتبات قليلة ، فيكونوا رسل علم ، ودين ، منهذا المعهدالعالمى ، وهم أدرى بلغة بلادهموطبائع أهلها وتكونالنتيجة أكثر فائدة لأن المسلمينمتفرقون فى بلاد الحبشة المترامية الأطراف وفى حاجة الى عـــدد كبير من العلماء والمرشدين ، ولا يتأتى ايجاد العدد المطلوب إلا من أبناء الحبشة أنفسهم .

وكذلك تربط مسلمى الحبشة بالسودان المصرى روابط القرابة ، والثقافة التى نشأت عن طريق « المتمة » و « الرصيرص » من المسلمين الذين هاجروا من الحبشة ، هربا من ظلم النجاشى « يوحنا » الذى كان يحملهم على الارتداد الى الكفر ، بعد الايمان .

أما ارتباطهم بمسلمى اليمن : فيرجع الى علاقات قديمة العهد ، نشأت عن تبادل التجارة ، ولقرب ما بين القطرين . وقد أدخل اليمانيون الى الحبشة زراعة البن ، وغيرها

أما علاقة مسلمى الحبشة بالحجاز : فقد نشأت عن المجاورة ، والتجارة ، من جهة ، وعن الحج من جهة أخرى .

وقد كانت مكة تغص بالحجاج الاحباش ، فيما مضى . ولكن قل عددهم فى هذه السنين ، لأسباب جمة

وقد كان عدد من حج منهم فى سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) ٤٩ حاجاً ، وفى سنة ١٣٥٣ كان ٢٩ حاجاً فقط

ولا يبعد أن المعاهدات التى تمت بين الحبشة ، وحكومة الحجاز ، تسهل السبيل للمسلمين الاحباش ، فيكثر عدد الحجاج منهم ، فى الأعوام المقبلة ، إذا لم تكن الأسباب المانعة من ذلك من نفس حكومة الحبشة

درجة الثقافة الدينية ، والعلمية ، عند مسلمى الحبشة

أن المسلمين فى الحبشة ، فى هذه الأيام ، ليسوا سواءً فى درجة الثقافة ، الدينية ، والعلمية ، وماذاك الامن كثرة ماوقع عليهم من الأذى ، والضغط منذ القرون الماضية .

وقد كان منهم قبل ذلك العلماء الاعلام ، كالزيلعى العلامة فخر الدين عثمان بن على ، شارح متن الكنز ، واسماعيل بن ابراهيم الجبرتى ، وعبدالله ابن يوسف الزيلعى وغيرهم ممن ذكرناهم من قبل

ولكن أنّى لهم التقدم فى العلم ، والدين ، وسوط الظلم والاضطهاد مشرع فوق رؤسهم

وهذا صاحب « صبح الاعشى » يخبرنا عن شىء من أنواع ذلك الاضطهاد الواقع فى زمانه ، فقد قال بعد ذكر «المالك الاسلامية » مانصه :

« وقدأتى « الحطى » ملك الحبشة النصارى ، على معظم هذه المالك ، بعد الثمانمائة ، وخربها ، وقتل أهلها ، وحرق مابها من المصاحف ، واكره الكثير منهم على الدخول فى دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسمار المقابلة بلاده لجزيرة « دهلك » تحت طاعة «الحطى» وله عليه اتاوة مقررة ، والسلطان « سعد الدين » صاحب « زيلع » ومامعها ، وهو عاص عليه ، خارج عن طاعته ، بينهما حروب لا تنقطع .

وللسلطان « سعد الدين » فى كثير من الأوقات النصرة عليه ، والغلبة [١] . اه

---

(١) صبح الأعشى ٣٣٥ ج ٥

وإذا علمت ان المسلمين فى عاصمة الحبشة ، لم تسمح لهم الحكومة الحبشية ببناء مسجد ، لاقامة الشعائر الدينيـــة ، ولا بانشاء مقبرة ، لدفن موتاهم ، عرفت مبلغ ذلك الضغط ، على مسلمى الحبشة ، الضعاف ، من حكومة الأسد الخارج من سبط يهوذا

واليك ماقاله صاحب الرحلة فى الصفحة ١٤٣

« وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ، ومعهم صحف الورد ، والزهور ، والمياه المعطرة ، والمناديل ذات الروائح الطيبة

وبينما كنا نشرب القهوة ، كنا نتجاذب أطراف الكلام ، فانتقل حديثنا إلى صلاة الجمعة ، وعلمنا منهم أنه لايوجد فى « اديس ابابا » مسجد . وان المسلمين يؤدون صلاة العيد فى الفضاء —

وقد قيل لى أن المسيحيين فى « اديس ابابا » من غير الأحباش ، مثل الكاثوليك ، والروم ، والأرمن أرادوا أن يبنوا كنائس خاصة بهم ، فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية ، فأجابتهم بقولها : « انكم وايانا مسيحيون ، فيمكنكم أن تصلوا فى كنائسنا ، فلا لزوم لبناء كنائس أخرى »

فلذلك لم يقدم المسلمون ، لانشاء جامع ، خوفاً من ان تمنعهم الحكومة ، كما منعت الطوائف الأخرى .

وقد علمت منهم أيضا ، ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين ، فى « أديس أبابا » ليس لهم مقبرة خاصة بهم ، بل هم يدفنون موتاهم فى منازلهم ، وحدائقهم . اه

ثم أتدرى أيها القارىء المحترم ، ماذا تم بعد ذلك ؟

ان صادق باشا بسأل الأمبراطور « منليك » أن يأذن المسلمين ، ببناء جامع ، ومقبرة ، فأذن له ، وفرح المسلمون بذلك ، واقترح عليهم أن يسمى الجامع « حميدية » تيمنا باسم السلطان « عبد الحميد » الذى أوفده الى الحبشة .

وبعد سفر الباشا ، نكث « النجاشى » عهده ، وبقيت « أديس أبابا » بدون جامع ، حتى نقلت إلينا الجرائد فى هذه الأيام ، أن الأمبراطور « هيلاسلاسى » سمح للمسلمين ببناء جامع ، فى عاصمة بلاده « أديس أبابا »

وبما أن النجاشى « منليك » سمح ببناء هذا الجامع فى سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) اكراماً لرغبة ضيفه ، مندوب سلطان « تركيا » فيكون أمر هذا الجامع أهمل مدة ٣٣ سنة ، حتى وافق النجاشى « هيلاسلاسى » على هذه المكرمة

فهل عين رأت ، أو أذن سمعت بأفكه من هذه المكرمة ؟

يالها منحة عظيمة ، من دولة شرقية ، عريقة ، فى القدم ، لرعاياها المسلمين الذين يماثلونها ، فى العدد ، ويجاورونها منذ ١٣ قرنا ، وضيوفها الذين هم روح الاقتصاد ؛ وبيدهم تجارة البلاد

كأن رجال هذه المملكة ؛ لم يبلغهم أن مساجد المسلمين شيدت فى أكثر عواصم أوربا كلندن ، وباريس

وعلى كل حال فنحن نشكر لجلالة الأمبراطور « هيلاسلاسى » معروفه

الـكبير ، وتتمنى أن لا يحول بين أمره ، ببناء الجامع ، وبين تنفيذ هذا الأمر مانع جديد

هذا : ولنا آمال عظيمة ، نعلقها على همة حضرات أعضاء البعثة الأزهرية المحترمين ، راجين بأن تـكون بعثتهم فاتحة نهضة ، علمية دينية اسلامية فى الحبشة ، يبقى لها الأثر الصالح ؛ ما بقيت الأيام

حالة مسلمى الحبشة بالنسبة لشعبها المسيحى

الشعب المسيحى فى الحبشة ، يعيد لنا ذكرى الشعوب القديمة ، التى كان كل شعب منها يظن أنه هو وحده ، من سلالة الأبرار ، وان كل الشعوب الأخرى ، أحط منه فى الانسانية ، ودونه فى الحقوق

لذلك — فهو ، يعامل مواطنيه المسلمين ، على هذه القاعدة البائدة

وقد علمت فيما تقدم أن مدينة « أديس أبابا » من عهد نشأتها ، الى الآن ، لم يسمح فيها للمسلمين باقامة مسجد ، ولا مقبرة اسلامية . وان المسلم لا يستطيع أن يظهر أمام الرؤس الأحباش ؛ بمظهر الثراء ، والنعمة ، حتى لا يعد عاصياً ؛ وقليل الطاعة لسادته

الشريطة الزرقاء

وقد حدثنا صاحب الرحلة الحبشية فى الصفحة ١٦٠ بأن المسيحى الحبشى ، لا يأكل مع المسلم ، على مائدة واحدة ، ويميز نفسه بشريطة زرقاء حول عنقه . ويعلق فيها « صليباً » صغيرا . من الفضة : أو غيرها ، من المعادن ، وتسمى عندهم « ماتب » اه

وإذا أردت أن تعرف قيمة هذه الشريطة ، فاسمع ما قاله عنها أحد الرواد الفرنسيين . وهو ما يأتى :

« ان أفضل جواز للسفر يعطاه السائح الغريب . فى الحبشة . هو شريطة من الحرير الأزرق . يلبسها فى عنقه . فوق ملابسه ، وبها يعرفون أنه من أبناء ملكة « سبأ » ويبالغون فى الحفاوة به ويفتحون فى وجهه جميع الأبواب . ويدرأون عنه جميع المخاطر .

شهادة أجنبى خال من الغرض

وقد عثرنا فى كتاب طبع فى « روما » سنة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦ م) عنوانه : « الدولة الحبشية ، وكنيستها » فنقلنا منه النبذة الآتية ، وهى :

« ان مزاولة المهام العسكرية ، هى وقف على الاحباش المسيحيين ، ويحظر أشد الحظر على غيرهم ، القيام بها . بدعوى انهم أحط عنصرا ودماً منهم »

المسيحى ، والمسلم ، أمام القضاء

ثم قال المؤلف : «ويكفى للدلالة على ذلك ، ان نأتى ببرهانين ، واضحين ، فاذا ماذهب المسلم ، والمسيحى ، ليتقاضيا ، أمام قاض نصرانى ، قلّ أن يعامل المسلم ، فى تلك الظروف ، بما يعامل به خصمه المسيحى ، أو بكلمة أصح ، ندر أن يعامل المسلم ، بما يقتضيه العدل ، والانصاف ، وماذاك إلا لانه قد رسخ فى أذهان الجميع ، الاعتقاد ، بأن المسلم هو أبعد عن تلك الجبلة التى تبيح له أن يكون هو وخصمه على قدم المساواة أمام القانون

أما ذلك القاضى ، الذى بيده الحل ، والربط ، فلا يدل مظهره فى تلك القضية ، الاعلى اقتناعه ، بوجوب ادانة الرجل المسلم ، قبل استماع مايقوله ، دفاعا عن نفسه .

ولائم الرؤساء ، والحكام ، فى المواسم

ثم قال : « وهناك برهان آخر ، يتجلى فيه التعصب الطائفى الممقوت ، جاجلى مظاهره ، وهو أنه : فى الاعياد الكبيرة ، السنوية ، قد جرت العادة ، أن يقيم حاكم كل اقليم ، الولائم الفخمة ، التى تذبح فيها العجول السمينة ، وتقدم لحومها للأهالى ، والجنود ، انما يختص بها المسيحيون فقط . فيؤثرهم الحاكم ، ويختصهم بجزيل العطاء ، وجليل النعم .

أما نصيب المسلمين من هـذا كله ، فهو الضن بالخير ، والامساك عن المعروف ، بكل معانيهما ـ الى أن قال : « ويجمل القول أن مسلمى الحبشة عموما ، وبنوع خاص ، من كان منهم يقيم فى أوساط مسيحية ، هم فى درجة من الاضطهاد ، والظلم ، والاستبداد ، بحيث لم يبق لهم إلا النذر القليل ، من الحقوق المـدنية . وخصوصا ، ما كان منها متعلقا بامتلاك الأراضى ، أو وظائف الحـكومة » اهـ

هذه شهادة أجنبي نسجلها عن حال المسلمين ، الذين يعيشون فى الاقاليم الحبشية ، البحتة ، والذين هم فيها اقلية وطنية

أما فى المقـاطعات الواقعة على أطراف الحبشة ، والآهلة بمسلمى « أوجادين » الصوماليين ، و « دناكل اوسه » فان حال المسلمين فيها ، تـكاد تـكون اسوأ ، واتعس بكثير مما تقدم .

تحصيل الضرائب من المسلمين

نعم ان هؤلاء المسلمين ، بعيدون عن الاحتكاك بالحـكام المسيحيين ، وعن السلطات المركزية .

ولـكن ينالهم العسف بشكله المريع ، عندما تصول الحـكومة فى تلك المقاطعات ، فتطلق الاعنة ، لجنودها ، يعبثون بمرافق سكانها ، المسلمين ، المسالمين ، ويصبون عليهم أنواع الجور ، فى تحصيل الضرائب ، وفرض المغارم الشاذة

الممالك التى اغتصبتها الحبشة من المسلمين

أما تلك المقاطعات التى أخذتها الحبشة ، من المسلمين ، فهى تحت رحمة الجنود الاحباش : الموكول اليهم أمر حراستها . وهى ذات نظام جائر يسمى « الجبّار » ومعناه تحصيل الضرائب المسماة « جبر »

فالاسر التى تقطن المقاطعات المشار اليها ، قدد دُونت اسماؤها فى سجلات خاصة ، ووزعت على الجنود الاحباش ، لتقوم بخدمتهم

هذه الأسر المنكودة الحظ ، ملزمة بأن تقوم بكل مايحتاج اليه هؤلاء الجنود ، فى حياتهم ، هم ومن يعولون . أى أنها تقوم بحرث الأراضى وزرعها ، وتربية المواشى ، لحساب أسيادها الجنود . ولايجوزلها أن تزاول من الأعمال الا مايوافق رغبتهم ، كما أنه محظور قطعيا على افراد هذه الأسر البائسة ، أن يفروا من الأماكن التى يعيشون فيها ، اوأن يتركوا خدمةمن كلفوا بخدمته من الجنود . واذا فر أحدهم ، ولم يعثر عليه . وجب على أهله أن يأتوا بمن يقوم مقامه ، فى الخدمة الملزم بها .

الجيوش الخاصة ، ضمن الجيش العام

جاء فى جريدة « الاهرام » الغراء فى العدد الصادر فى يوم الاثنين ٨ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥) بهذا العنوان تلغراف من مراسلها الخاص فى « اديس ابابا » هذا نصه :

« وهناك ظاهرة أخرى مدهشة ، وهي الجيوش الخاصة ، ضمن الجيش العام . مثال ذلك ـ بين الخمسة والعشرين ألف مقاتل من رجال القبائل المعسكرة ، خارج « اديس ابابا » مئات من زعماء الاقطاعيات ، ولكل منهم جيشه الخاص ، وأتباعه ، وعبيده »

هذا التلغراف يبين لنا حقيقة الحال ، وهي أن الأسر الموزعة هي وأراضيها على الجنود تقوم معهم عند نشوب القتال بصفتها جنود خاصة ، لحماية سيدها ـ مثال ذلك ـ مسلمو « لمو » يلتحقون بفرقة تسمى « الوروارى » أي رماة الأسهم . ومسلمو « جالا اروسى » يلتحقون بحملة البنادق ، وهم « الاى طابنجه اياج » وقس على ذلك

ومما تقدم نستخلص أن سكان الأقاليم ، التي انتزعتها الحبشة ، من المسلمين والذين يبلغ عددهم أكثر من نصف السكان في هذه الايام . هم في حالة يرثى لها من الظلم ، تعيد لنا ذكرى حالة عبيد السخرة في القرون الوسطى ، إن لم تكن أسوأ منها .

تقسيم سكان الحبشة في نظر رحالة سويسرى

لقد قسم سكان الحبشة الرحالة السويسرى « الدكتور جورج مونتندن Gorge Montandon » في بحثه القيم حول النخاسة في الحبشة ، الذى قدمه إلى جامعة الأمم عام ١٣٤٢ (١٩٢٣ م) فقد قال في الصفحة ١٤ منه مايأتى تعريبه :

« ان موظفى الحكومة الكسالى ، وغـيرهم ، من الجنود ، هم عالة على الصوماليين ، والدناكل ، وأهل « هرر » وخصوصا على أهالى « جالا » » فانهم يستخدمون العبيد المقيمين فى « كفّا » و « جمّا » و « ميجى » وهم من الفصيلة الزنجية » .

ثم قسم فى الصفحة ٢٨ من بحثه المذكور سكان الحبشة إلى ٤ أقسام كما يأتى :

أولا — الأحرار (وهم الأحباش ، والامحريون)

ثانيا — أهل الغرامة (وهم الدناكل ، والصوماليون)

ثالثا — المقهورين ، أوخدام السخرة ، وهم « الجالا » والشعوب الاخرى

رابعا — العبيد ، وهم زنوج سانغلا

فهل رأيت أو سمعت بأعجب من هذا التقسيم ، العجيب

نقص السكان فى المدن الاسلامية

من البديهى ان البلاد التى تكون غاصة بسكانها ، بسبب الرخاء ، والدعة ، يتناقص عدد أهلها ، إذا دهموا بأى نوع . من أنواع الجور .

وقد استطاع أحد الأطباء الغربيين أن يزور بلاد الحبشة ، ويقيم فى غربيها مدة ثلاث سنوات .

هذا الرجل تمكن فى سنة ١٣٥٢ ه (١٩٣٣ م) من كتابة نبذة مدهشة ،

عن أحوال تلك البلاد ، فبعد أن تكلم باسهاب عن ثروتها الطبيعية ، وخيرها العميم قال : « ان بلاداً كالحبشة . أفاضت عليها الطبيعة من خيراتها الغذائية الوفيرة . كان يجب أن تكون آهلة بالسكان ، ورافلة فى أثواب الغنى والرخاء ، اذ من المعلوم أن كثرة السكان دليل على جودة المكان ، إلا أننا مع مزيد الأسف ، نجد كثيرا من المناطق المشهورة بجودة جوها ووفرة خيرها ، وغنائها ، تكاد تكون ، مقفرة من آثار العمران .

أما الاقليم الوحيدالذى كان يتباهى بعدد سكانه ، فهواقليم « جماأباجفار » لكنه سرعان ما امتدت اليه أيدى الظالمين ، وعصابات الغزو ، من أهالى « الحرا » . وسوف لا ترفع أيديها عنه ، حتى يصيبه من الدمار ، ما أصاب سائر الأقاليم ، التى أمست أثراً بعد عين .

ثم قال : اجل . إذا ألقينا نظره إلى الفترة التى تبتدىء بدخول المبشر « مساوى » إلى تلك الأقاليم ، ونشره تعاليم «الانجيل» فيها وارتيادالرحالة « بوتيغو Bottego » لتلك المناطق لتأكد لدينا صحة مسألة نقص السكان ، فى تلك الأقاليم .

ثم قال « وهناك فى الحبشة اقليم واسع الارجاء تكسوه الخضرة الدائمة ، لما هو عليه من خصب التربة ، وسرعة النماء . فلا تجد فيه بقعة ، الا وهى آهلة بالسكان ، ولقد كان سكان المنطقة الواقعة بين بحيرة الملكة « مرغريتا » ونهر « ادموبوتاغو » فى الكثرة ، بحيث لم يكن من السهل على بعثة «بوتاغو» أن تجتاز تلك المنطقة ، المكتظة بالمساكن المنتشرة فيها .

هذا وقد أحصى « مسايا « Messiya » سكان اقليم « كفا » وحده فوجدها لا تقل عن « المليون » من الأنفس ، بينما لا يزيد عدد سكانه ، فى أيامنا ، الحاضرة ، عن ٥٠ ألفا

وعلى هذه النسبة نقيس مقاطعات « قيرة » و « غما » و « غوما » و « اناريا » وغيرها ، التى كانت آهلة ، بالعدد الكثير من السكان . اه

ومحال ان يعزى هذا النقص العظيم ، فى السكان ، الى عوامل أخرى غير الحروب ، والغزوات التى كان يثيرها ملوك الحبشة ، على المسلمين « فهم كالذين قال الله فيهم « يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ (١) لأنهم لو تركوا هذه البلاد ، الممتلئة من كنوز الخير ، لأهلها المسلمين ، لبقيت عامرة ، تفيض عليهم بالخيرات ، والبركات ، ولكنهم لشدة تعصبهم ، لم يحل لهم إلا اخرابها .

« ويمكنا ان نقول : ان هذه البلاد ظلت عامرة ، الى ان بدأ « منليك » يشن الغارة عليها ، منذ أربعين سنة ، بجنوده يقتلون من يعارضهم ، ويغنمون ما يجدونه ، من خير ، ويسوقون النساء ، والرجال ، والأطفال ، عبيداً

وقد قلده أكثر الرؤس الأحباش الذين كانوا يأتون حكاما ، على تلك المقاطعات الجنوبية ، فى شن الغارة عليها ، وسلب أهلها ، يذيقونهم أمر العذاب ، ويكلفونهم فوق ما يطيقون ، من ابتزاز الأموال ، حتى لم يبق من هؤلاء السكان ، التعساء ، إلا جماعات ، عمها البؤس بعد أن نجت من الغزاة

---

(١) سورة الحشر

الظالمين ، أهالى «شوى» واتخذت مساكنها ، فى كهوف الجبال . والغابات تلجأ اليها ، متى شعرت بأدنى خطر .

وقد انتهى الحال ، فى تلك المقاطعات ، الى القضاء على الحياة الزراعية تماما ، فتقاص ظلها ، عن تلك الأقاليم الخصبة ، وتحولت أرضها ، الى احراج ، وغابات

شهادة حبشى وثنى

ومما هو جدير بالذكر ، ماقاله كاتب حبشى ، يدعى « ج . ف . افيرك Afework » فى كتابه المسمى ، دليل السائح فى الحبشة ، وضعه باللغة الفرنسية وطبعه سنة ١٩٠٨ فى « روما » وجعله على طريقة السؤال ، والجواب . ونحن ننقل بعض شذرات ، تتعلق بمعاملة الأحباش ، للفلاحين المسيحيين ، ذكرها المؤلف ، ليدل بها على سوء المعاملة ؛ التى يعامل بها قومه الوثنيون ، قال :

س — قل لى أخيرا ، هل الرعايا « جبار » فى الحبشة هم حقيقة عبيد « باريا » ؟

ج — أن حالة هؤلاء الاقوام ؛ لاسوأ بكثير ؛ من حالة العبيد ؛ لأن هؤلاء يشتغلون لحساب أسيادهم ؛ الذين يعطفون عليهم ؛ ويقدمون لهم الطعام والكسوة ؛ بينما الرعايا « جبار » محرمون من هذا كله ؛ فهم يعملون ؛ ليلا ونهاراً ؛ لحساب أسيادهم ؛ ويقدمون لهم الغذاء ؛ من عرق جباههم

س — كيف يعامل الحكام المسيحيون الأحباش ، سكان اقاليم « غالا »

ح — إذا كان الرعايا من المسيحيين ، يعاملون تلك المعاملة ، القاسية ، البربرية ، وهم اخوان الأحباش بالدين ، فكيف تكون معاملتهم للوثنيين التعيسين ؟ اه

نقول : أن حالة « غالا » المسلمين ، لاتمتاز بشيء عن حالة وثنى « غالا » التى ذكرها الكاتب المذكور .

ويظهر لنا ، من كل ماقدمناه ، ان الحقد على المسلمين ، لا يزال كامناً ، فى صدور الأحباش ، فى هذه الأيام ، كما كان فى الأيام السالفة ، حتى أنهم لا يأكلون من ذبيحة المسلم ، ويجتهدون فى أن تكون حالتهم ، وهيئاتهم ، ممتازة عن المسلمين . كما مر لنا فى ذكر « الشريطة الزرقاء »

ومن أسباب التباعد ، والجفاء بين المسيحيين . والمسلمين ، أن المسيحيين يحرصون الحرص كله على أن يكون فى أعمالهم ، وحركاتهم ما يميزهم ، عن المسلمين ، كأن يعلقون مثلا فى أعناقهم « عقداً » خاصا . يسمى فى لغتهم « الأمحرية . ماتب »

نعم ان نفور الحبشى المسيحى ، من معاشرة الحبشى المسلم ، وابتعاده عنه يعد خيرا عظيما للمسلمين ، لو أنه كان خاليا من الظلم ، والتعسف ، لأن حالة الأحباش المسيحيين . ومعيشتهم مصحوبة بشيء من القذارة . والخطرات الصحية .

فقد ذكر صاحب « الرحلة الحبشية » فى الصفحة ١٨٢ عبارة تدل على ذلك . ننقلها بحروفها . قال :

« الأحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم ، فلذلك . لا يصعب على الانسان ، بعد مخالطتهم ، برهة قليلة أن يفرق بين المسيحى ، والمسلم ، لأن المسلم ، يجدد وضوءه ، كل يوم ، جملة مرات . فتظهر آثار ذلك عليه .

والأمراض المعدية القتالة . مثل « الزهرى » وغيره . منتشرة ، بين عوام « الأمحريين » المسيحيين . لكثرة اختلاط النساء بالرجال .

وأما المسلمون فقلما تنشر فيهم . هذه الأمراض » اه

الجمعيات الخيرية الاسلامية ، بالحبشة

أسس المسلمون فى الحبشة ، كثيراً من الجمعيات الخيرية « الاسلامية » لتعليم أبناء المسلمين ، وتثقيفهم ، ومع أن الحكومة ، لاتمدها باى عناية ، أو إعانة ، فانها جاءت باعمال عظيمة ، وهى السبب فى إرسال « البعثة الأزهرية » الى الحبشة ، كنادى الاتفاق الاسلامى ، والجمعية الوطنية ، وجمعية التعاون ، وجمعية الشبان المسلمين .

وقد كتب رئيسها الى جريدة « روز اليوسف » الغراء ثناء على أعضاء البعثة الأزهرية ، درج فى عددها المؤرخ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٥ . وينتظر أن تكون هذه الجمعيات ، المؤلفة ، من خيار المسلمين ، فى الحبشة ، سببا فى سعادة أولئك المخلصين فى الآتى إن شاء الله تعالى

مرتبات قضاة الاسلام ، وأئمة المساجد ، فى الحبشة

أما مرتبات خدمة المساجد ، وأئمتها ، فى الحبشة ، وكذلك القضاة ، فيقوم بها الأهلون ، من أموالهم الخاصة . بدون أن تمدهم الحكومة بشىء ما .

المسلمون فى المناطق المتاخمة للحبشة

يليق بنا ، وقد انتهينا من ذكر حال المسلمين ، فى المملكة الحبشية ، ان نذكر بصفة عامة ، حال المسلمين المقيمين ، فى المناطق المتاخمة للحبشة ، وفاء للموضوع ، فنقول :

(١) الاريترة

ان المسلمين فى شمال الاريترة الايطالية ، وشرقيها ، يؤلفون نصف سكان تلك المنطقة ، على وجه التقريب

وقد دل إحصاء سنة ١٣٥٠ ﻫ (١٩٣١ م) على أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٣٠٠،٠٠٠ نسمة ، من مجموع السكان البالغ عددهم ٦١٧،٠٠٠ نفس

وهؤلاء المسلمون كلهم سنيون ، بين أحناف ، وشافعية ، ومالكية ولهم محاكم شرعية ، وعلى رأسها القضاة الشرعيون ، يفصلون فيما يعرض عليهم

من القضايا الدينية والأحوال الشخصية . كما أن لهم الحق أيضا فى الفصل فى القضايا « المدنية » حتى أن بعضهم تنسم فيها المناصب العالية

وكذلك نجد فى « تسنّاى » مركزا للطريقة المرغنية ، التى هى فرع من الطريقة المرغنية السودانية ، المصرية .

ولا يخفى أن لهذه الطريقة ، وغيرها ، القدح المعلى فى جمع كلمة المسلمين ، وتخلقهم بالفضائل النفيسة

وإذا أمعنا النظر فى الأمر ، وجدنا أن المسلمين فى هذه المستعمرة الايطالية ، قد أحرزوا حظاً وافراً ، من التقدم ، عما كانوا عليه فى الجيل الماضى .

وقد قارن المستشرق الألمانى ، المشهور ، « لتمان » فى مقال له ، نشرته مجلة «در اسلام» Der Islam عام ١٣٣٨ ﻫ (١٩٢٠ م) قابل فيه بين حالة المسلمين ، وتعدادهم سنة ١٢٨١ ﻫ (١٨٦٤ م) بموجب احصاء « مونزنجر » Munzinger وحالتهم وعددهم فى سنة ١٣٢٣ ﻫ (١٩٠٥ م) بموجب الاحصاء الايطالى . فثبت لديه من هذه المقارنة ، أن هناك زيادة محسوسة ، فى عددهم ، وتقدما عظيما ، فى شؤنهم . الاجتماعية ، كل هذا كان فى تلك الفترة القصيرة

فاذا قيل إن هذا الفرق لم ينتج من كثرة المواليد ، لقرب ما بين التعدادين . نقول : ان الأمن ، والدعة ، ، من أكبر دواعى اقبال الناس ،

على سكنى البلاد التى يوجـــدان فيها ، كما قال شاعرنا « المتنبي »

« وكل مكان ينبت العز طيب »

وهناك نجد أيضــا عدة قبائل تتكلم اللغة الأمحرية ، مثل « الماديا » و « منسا » وبعض من قبيلة « بوغس » قد اعتنقت الاسلام ، بعد ان كانت على النصرانية

وما ذاك الا لاحتلال المصريين ، للسودان ، ورسوخ أقدامهم فيه ، حيث قامت مدينة « كسلا » سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم احتلالهم لمدينة « مصوع » واقامتهم هناك حوالى عشرين سنة ، أى من سنة ١٢٨١ الى سنة ١٣٠١هـ (١٨٦٤ - ١٨٨٤ م)

ولانزال نرى الى الآن حركة متواصلة ، بين أهالى « باريا » و « كنامة » الوثنيين ، للدخول فى الاسلام أفواجا

***

وقد كتب المستر « يوناس يارسون » yonas ywarson السويدى مقالا قيما ، فى مجلة « العالم الاسلامى » التى تصدر فى « نيويورك » وذلك عام١٣٤٧هـ (١٩٢٨ م) نقتطف منه ما يأتى :

« ما كادت بلاد « الاريتره » تقع فى يدى الطليان ، وتنفصل عن أجزاء الحبشة ، حتى تنفس سكانها المسلمون ، الصعداء ، وتمتعوا بكامل حريتهم ، الدينية ، وهم يؤلفون أكثر من نصف مجموع السكان ، ويحاطون

بعناية خاصة ، من قبل الحكومة الايطالية ، هناك ، وتكرم رجال الدين ، وتقدم لهم الاعانات ، لبناء المساجد ، واقامة المدارس ، والملاجيء ، وهم والمسيحيون ، فى الحقوق الاجتماعية ، على أتم المساواة » اه

***

وفى صيف السنة الماضية زار أحد المسلمين ، البارزين ، مدينتى « اسمره » و « مصوع » ونشر فى مجلة « الفتح » التى تصدر فى القاهرة ، فى عددها الصادر بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ ﻫ (١٩٣٨ م) مقالا مهما ، أظهر فيه إعجابه ، بما شاهده ، فى تلك الاصقاع ، من نظام ، وحسن إدارة وملأه من الثناء على الحكومة ، لما تبذله من العناية ، وحسن الكياسة مع السكان المسلمين ، الذين يتمتعون ، بكامل حريتهم « الدينية »

« ثانيا » يعيش فى السودان « المصرى الأنكليزى » عدد عظيم جدا من مسلمى تلك المناطق ، وخصوصا فى الناحية الغربية من الحبشة .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما كان للسودان المصرى ، من التأثير ، فى الدعاية الاسلامية ، ونشر الأسلام ، حتى بين الأحباش أنفسهم

ولا يخفى أن مجموع سكان السودان يبلغ ستة ملايين ، بينهم ما يزيد عن النصف « مسلمون - سنيون » بين مالكية ، وشافعية .

وهناك طرائق الصوفية ، المتعددة ، من « تيجانية » و « قادرية » و « سمانية » و « خلوتية » و « شاذلية » و « مرغنية » وهى تؤلف جيشا جرارا ، من أهل الصلاح ، والتقوى ، لمحاربة الجهل ، والاجرام .

وهناك العلماء الأعلام ، والأدباء ، والشعراء .

وللمسلمين « المحاكم الشرعية » المنتشرة ، فى جميع أنحاء السودان وقاضى قضاتهم يعين من مصر ، ويقضى فى شؤنهم الدينية ، وأحوالهم الشخصية باوسع معانى العدل .

والمدارس الاسلامية ، مزدحمة بالطلاب ، ومنهم فى « الجامع الأزهر الشريف » كثيرون يقصدونه ، لاتمام الدروس الدينية ، العالية

وفى القلابات ، وهو اقليم قديم ، من « متمه » على حدود الحبشة نجد اسراً عديدة ، من أصل حبشى ، هاجرت من وطنها هربا من الاضطهادات التى أثارها « النجاشيان ، تاودروس ، ويوحانس »

« ثالثا » وفى بلاد « كنيا » المتاخمة للحبشة الغربية ، لمسافة بعيدة ، يعيش أكثر من مليون مسلم سنى أى نصف مجموع السكان وهم على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه .

وأهم مراكز المسلمين فيها مدينة « ممبازا » التى نالت شهرة واسعة ، فى تلك الانحاء ، لأنها كانت من أهم العوامل فى نشر الاسلام وبثه فى كل « افريقيا الشرقية » وكانت ذات صلة ، متينة ، مع سكان جنوبى « جزيرة العرب » و « الخليج الفارسى » و « الهند »

« رابعا » المسلمون فى « الصومال الايطالى » يؤلفون الأكثرية الساحقة من سكانه ؛ وبلغ عددهم فى احصاء سنة ١٩٣١ م ١٠٠٩١٥٧ نفسا وكلهم سنيون ، يتعبدون على مذهب « الامام الشافعى » ولهم محكمة شرعية ، يرأسها قضاة عادلون . والطرق الصوفية فيها منتشرة ، ويسمونها « الجماعة »

أهمها « القادرية » و « الأحمدية » و « الصالحية » و « الرافعية » ولهذه الطرق ، اليد الطولى فى نشر الاسلام، وتحسين الشؤون الاجتماعية ، بين الشعب

« خامسا » ونجد الصومال الانكليزى ، الذى استولت عليه « بريطانيا العظمى » سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤ م) ان فيه من المسلمين ٣٠٠،٠٠٠ ألف نسمة ، وكلهم سنيون ، يتعبدون أيضا على مذهب « ابن دريس الشافعى » وهم متمتعون باقامة الشعائر الدينية ، ولهم محاكم شرعية ، وقضاة عادلون

والطريقتان « القادرية » و « الخلوتية » منتشرتان بينهم ، وعلى جانب عظيم ، من الازدهار ، وحقوقهم مع الطوائف الأخرى ، قائمة على المساواة والحكومة الانكليزية . تحترم شعائرهم الدينية كما قدمنا وتساعدهم على نشر العلم ، والدين ، لأنها وجدت فى تقدمهم العلمى ، واطلاق حريتهم الدينية ، خير معوان لها على رفاهية البلاد ، ونشر أجنحة الأمان .

ولا ننس أن مدينة « زيلع » كانت من أهم المراكز الحربية للمسلمين ضد طغيان الحبشة

وكل منا يذكر الثورة الشديدة التى دار رحاها فى تلك الاصقاع من سنة ١٣١٧—١٣٣٨ سنة هـ (١٨٩٩ — ١٩٢٠ م) وكان القائم بزعامتها محمد بن عبد الله حسان المهدى ، المنحدر من احدى القبائل الصومالية فى « أوجادين » الحبشية

« سادسا » وفى تلك الأرض المحيطة بمدينة « جيبوتى » التى هى الصومال

الفرنسي نجد ٢٠٠١٠٠ نفس من المسلمين ، وكلهم سنيون ، وعلى مذهب الامام الشافعي .

والطريقة القادرية هناك ، تفوق غيرها من الطرق الصوفية ، ولها نفوذ يذكر ، في نفس أبناء الشعب « الصومالي » الذين تربطهم باليمن ، ومسلمي سلطنة « أوسة » و « جلاولو » روابط الصداقة المتينة والعلاقات الحسنة .

ومن مدينة « جيبوتي » يمتد خط السكة الحديد ، إلى داخل الحبشة حتى يصل الى عاصمتها « اديس ابابا » مارا في « ديرة داوه »

هذه هي البلاد المجاورة للحبشة ، والتي تحيط بها من جميع نواحيها . ويقيم فيها المسلمون تحت نفوذ « الانكليز ، والفرنساوين ، والايطالين » بلغت فيها الطوائف الاسلامية ، منتهى حريتها الدينية ، وأصبحت تعيش مع باقي السكان ، على أتم قواعد العدل ، والمساواة .

ولاء المسلمين ، لحكومة الحبشة ، واخلاصهم

ليس في العالم طائفة ، تتناسى مايقع عليها ، من الجور ، وتغض الطرف ، عن الاساءة ، مثل مسلمي الحبشة ، فانهم مع مايلاقونه ، من عسف الحكام . الاحباش ، وجور الاحكام ، يقفون الى جانب الحكومة ، عند شدتها ، ناسين مافعلته معهم ، ومازالت تفعله .

والدليل على ذلك ماورد في جريدة « المقطم » الغراء ، في العدد الصادر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ من أن ١٢٠ زعيما من زعماء المسلمين ، رفعوا

للأمبراطور « هيلاسيلاسى» عريضة ، يعربون فيها . عن ولائهم له ، قاطعين على أنفسهم عهداً ، بأن ينصروا القضية الحبشية ، ويدافعوا عنها بحياتهم ، وأموالهم .

وجاء فى مجلة « المصور » فى ملحق الحرب الصادر فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ مايأتى : « وكان المسلمون ، والمسيحيون ، فى الحبشة ، يعيشون مفترقين ، عن بعضهم . لم تكن بينهم عداوة ، ولاحزازات (١) ، ولكنهم كانوا يؤثرون عدم الاندماج ، فى بعضهم البعض ، حتى قامت « ايطاليا » تهدد الحبشة ، بالغزو ، والفناء . فاسرع زعماء القبائل الاسلامية ، وكبار تجار المسلمين ، وأعيان « الاوجادين » و« هرر » و « الصومال » يبايعون الامبراطور ، بالطاعة ، والتفانى ، فى الدفاع عن البلاد .

وكان يوم الأحد ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٥ يوما مشهودا ، فى تاريخ الحبشة ، فان أئمة المسلمين ، فى يوم الجمعة السابق لذلك اليوم ، بعد أن صلوا بالناس ، صلاة الجمعة ، ألحوا عليهم بأن يذهبوا ، إلى « كاتدرائية مار جرجس » وأن يحضروا قداس الشفاعة ، فى يوم ١٨ أغسطس

وأقيم القداس ، وإذا بالمسلمين ، يفدون على الكنيسة ، من كل مكان ، ويشتركون فى « القداس » ويظهرون القومية ، التى اكتسحت كل الفوارق الدينية ، فى ساعة الخطر . اه

أقول : انظار الى شمم هذه الطائفة المباركة ، وفضلها ، وكيف نسيت

---

(١) لعل الكاتب يريد أنه لم يصل الى علمه شىء من ذلك ، وإلا فالواقع ينكر مايقوله .

اساءآت ١٣٠٠ سنة تقريبا ، احتملتها من الحبشة ، وحكوماتها المسيطرة ، على البلاد ، وتكاتفت معهم ، للدفاع عنهم ، تبذل فى معونتهم النفوس ، والأموال فياترى : هل تحفظ لهم حكومة الحبشة هذا الجميل ، وتساوى بينهم ، وبين شعبها فى العدل ، والانصاف ، من الآن وفيما بعد ؟

المسلمون هم سور المملكة الحبشية

ان الشعب الحبشى المسيطر على الهضبة ، لو أن لديه شىء من الانصاف لأعطى المسلمين ، الأوج الأعلى ، فى المملكة الحبشية . لأن المسلمين ، هم السور الأعظم المنيع للبلاد ، وعليهم تقع الصدمة الأولى من كل مغير وفاتح .

فالدناكل من جهة الشمال الشرقى ـ وهم من أقوى المقاتلين فى الحبشة ـ كلهم مسلمون . وصومال « الأوجادين » فى الشرق ، والجنوب الشرقى ، كلهم مسلمون . و « بوران » و « سداما » و « كافا » فى الجنوب ، والجنوب الغربى ، كلهم مسلمون . و « هرر » كلهم مسلمون ، وقبائل بنى عامر على حدود السودان ، كلهم مسلمون

وجميع هؤلاء المسلمين ، الأقوياء ، الأشداء ، يحيطون بالحبشة ، احاطة السوار ، بالمعصم ، ويطوقونها بقوتهم من جميع جهاتها . فلو لم يكونوا من أشد الناس ولاء ، واخلاصا لها لتألبوا عليها ، مع كل عدو ، يغزوها ، تشفيا وانتقاماً مما تفعله معهم . ولكنهم لم يكونوا يوماً مّا خائنين ، بل نراهم يقابلون دونها الصدمة الأولى ، بنفوس مطمئنة ، وقلوب سليمة .

أقوال الجرائد الاسلامية ، عن مسلمى الحبشة

من الناس من لا يعرف حياة المسلمين ، فى الحبشة . بل قد لا يتصور واحد من عالم هذا العصر ، ما يلاقونه من الجور ، وسوء المعاملة . فى بلادٍ هُم فيها أكثرية عظيمة ، ولهم فيها الأحقاب الطويلة ، وهم عماد سعادتها الاقتصادية .

لهذا حينما شبت الحرب ، بين الحبشة ، والطليان ، قامت الصحف العربية - لاسيما - الاسلامية ، تنادى : « ان اعينوا الحبشة »

أما الصحف غير الاسلامية ، فاننا ندعها ، وشأنها ، ونترك لها حرية الرأى ، لأنها لها نيتها الحسنة ، فى الدعوى ، لمساعدة شعب ، معتدى عليه ، ونشاركها فى ندائها ، ولأنها تودى هذه المهمة عينها ، فيما لو كانت الحبشة قامت بخيلها ، ورجلها ، تحارب دولة تجاورها ، أضعف منها .

وأما الصحف الاسلامية ، فاننا ، وان كنا لا ننكر عليها مثل هذا النداء الانسانى ، إلا اننا نكلفها أمرا واحدا ، نكتفى به عن إطالة الأخذ ، والرد والبحث فيما لا طائل تحته

والأمر الذى نطلبه منها هو أن تأتى بنسخ من القوانين السارية فى جميع ممالك العالم ، ثم نرجو من صاحب الجلالة «هيلا سيلاسى» امبراطور الحبشة أن يختار قانونا منها ، ويصدر أمره بمعاملة رعيته ، على ما يقتضيه ، وأن لا يفرق بين المسلمين ، وغير المسلمين ، فى تطبيقه

نقول ذلك ، لأن كل القوانين السارية ، فى ممالك العالم ، تشتمل على ما يكفل حقوق الافراد ، بين مختلف رعاياها .

ولكن المملكة الحبشية ليس فيها مثل هذا القانون ، وارشادها إلى عمل كهذا ، يعد من أعظم المساعدات التى تقدم اليها ، لأنها تصير باتباعها دولة ذات شأن وشوكة

أقوال جريدة فلسطينية

وقد شذ عن زملائه فى هذا الموضوع صاحب جريدة « الجامعة العربية » التى تصدر فى « القدس » وكتب مقالا نفيسا ، يندب فيه حظ بلاده ، ويعجب من طلب الجرائد العربية الانتصار للقضية الحبشية ، ننقله بحروفه ، لما ورد فيه خاصا ، بشأن المسلمين فى الحبشة .

قال فى العدد الصادر فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ ما نصه :

« لم يوجد غير مسلمى الأندلس ، من أصابهم العذاب الذى انصب مدة مئات من السنين ، على مسلمى الحبشة ، وليس ذلك شيئا مضى وغاب ، فى ظلمات التاريخ ، بل فى زمان قريب من هذا الزمن ، أى منذ ٦٠ أو ٧٠ سنة ، صدرت أوامر الملك « يوحنا » نجاشى الحبشة باكراه المسلمين اجمع على التنصر ، وتنصروا قاطبة فى الظاهر ، ورحل منهم قسم كبير ، وثار الذين قدروا على الثورة ، ولم تنته هذه الفظائع الا بموت « يوحنا » فعندها رجع المسلمون الى الاسلام ، ولكن بقى منهم جانب عظيم ، على النصرانية .

والذى عندى من المعلومات عن الحبشة ، بقلم اناس من الثقاة الأحباش ، ان مقاطعة « يلو » التى هى مركز الاسلام هناك ، أصبح بها عشرة فى المئة مسيحيين ، بعد ان كانوا مسلمين ، بأجمعهم ، وهذا بضغط الحكومة .

وعدا ذلك فمن المعلوم أن مسلمى الحبشة وهم ستة ملايين لا تعدهم حكومة الحبشة ، كانهم موجودون ، ولا يوجد فى الحكومة الحبشية مسلمون الا مانذر ، وفى وظائف تافهة جدا .

فالدولة التى تعامل المسلمين ، وهم نصف رعاياها ، بهذه المعاملة ، لا تستحق كل هذا الاندفاع ، فى الدفاع عنها ، من جانب اناس من المسلمين » اه

وكتب أيضا فى العدد الصادر فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٥ مانصه :

« ان الحبشة أبعد جداً عن خطر الابتلاع منا نحن الذين فى أفواه الحيتان .

ان العاقل ينبغى أن يتبصر بنفسه ، حينما يكون السيف فى رقبته ، فلا يتعرض لما لا يعنيه ، وهو عاجز جد العجز عما يعنيه

اننا نحن على كل الأحوال ، وبدون مواربة ، لا نرضى بازالة استقلال مملكة مستقلة ، كالحبشة ، ولا نوافق على مبدأ استعباد شعب لشعب ، لأننا نحن واقعون فى هذه المصيبة ، فاذا كنا ننكر هذا المبدأ من أصله ، فليس من المعقول ، ولا من المقبول ، أن نكون ممن يروج سياسة استيلاء « ايطاليا » على الحبشة ، ولكننا فى الوقت نفسه نرى فرضا علينا تذكير قومنا بالأمور الآتية ، لأنها حقائق ، والحق يعلو ، ولا يعلى عليه .

«الأول» : اننا من الضعف ، ومن الاحتياج الى عضد الدول الكبرى ، بحيث لا نقدر أن نعادى دولة ، كدولة « ايطاليا » واننا لو كنا نقدر أن نستعطف دولتى « فرنسا » و « انجلترا » لكان ذلك من أعظم الامانى ، ولكن مع الاسف ، منذ وضعت الحرب العامة أوزارها ، نحاول استعطاف هاتين الدولتين ، حتى تكفا عن أذى الأمة العربية ، ولا تريدان أن تسمعا لنا كلاماً ، فنحن فى العداوة معهما من قبيل « مكره أخاك لابطل » وفى أى وقت علمنا ان « انجلترا » تريد أن تقف فى وجه المهاجرة الصهيونية ، وتمنعها منعاً أكيدا باتا - لا المنع المصنع الحالى - فاننا نذهب بانفسنا ، الى « لندن » ونأخذ معنا وفداً ، من جميع العرب ، حتى نقدم الشكر للحكومة البريطانية .

«الثانى»: ان الذى يكون فى موقفنا من خطر الابتلاع الاجنبى ، لايجوز له أن يوزع مجهودات على الغير ، وان ينتصر لاناس هم أبعد الف مرة عن خطر الهلاك منه

الثالث : ليست الحكومة الحبشية هى التى يجب أن نغضب لاجلها ، كل هذا الغضب ، وهى التى منذ قرون تضطهد المسلمين ، الذين فى بلادها ، وتذيقهم الوان العذاب ، وتجبرهم على التنصر » اه

ماقالته مجلة الفتح

ان مجلة الفتح التى تصدر فى القاهرة ، تعد من أجل المجلات الاسلامية وانها تكتب عن روية وبعد نظر

لذلك نرى أن لقولها قيمته العظيمة . واليك ماورد فى عددها الصادر فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ (٢٩ ينساير سنة ١٩٣٥ م) ما نصه : « فى الحبشة ثلاثة ملايين من المسلمين ، أو يزيدون ، ولكن لانسمع لهم صوتا ولا نرى لهم أثراً فى الحكومة الحبشية ، مع أنهم كانوا فيها ملوكا منذ قرون وقد قيل لنا أنهم أغنى الأحباش

اذن فما لهم لا يجمعون شملهم ، ويوحدون جهتهم ، ويقومون بعمل يجعل الحكومة تعطيهم من الحقوق ما يتناسب مع عددهم وعملهم . » اه

كيف كان الأجدر بالحبشة أن تكون

كتب المستر « درلى Darly » فى كتابه المسمى « العبيد وتجارة العاج » المطبوع فى لندن . سنة ١٩٢٦ م كلمة أبدى فيها رأيه ، فى المملكة الحبشية ، وكيف أنها لم تضع نفسها ، فى المركز اللائق ، لدولة لها مثل شعوبها ، وأراضيها ، نقتطف منها مايأتى :

قال : « كان من اللائق بالحبشة ، أن تكون ، قلباً لافريقيا الشمالية ، الشرقية ، ولكن أنَّى يتأتى لها ذلك ، إذا كانت الشرايين ، المعول عليها ، فى تغذية سائر أعضاء الجسم ، خالية من عوامل الحياة ، فاترة منحلة ، فكيف تكون ، حال تلك الأعضاء ، التى أنهكتها سياسة الحكومة ، الحبشية ، القائمة فى ارهاق السكان ، وابادة العناصر العربية ، من الحبشة ، يقذف بهم ، فى ظلمات الجهل ، والتأخر » اه

أقول : انما يقصد بالشرايين المسلمين ، المنتشرين فى الحبشة انتشار الشرايين فى الجسم ، لأن المسلمين هم ، أهل الكد ، والعمل ، فى الزراعة ، و الصناعة ، والتجارة ، وهم الوسيلة الفعالة ، لايصال التغذية ، إلى كافة أعضاء جسم الحبشة فاستنزاف دم هذه الشرايين ، ينتهى بها ، إلى الضعف الذى يعقبه الموت

الخلاصة

نستخلص مما كتبناه ما يأتى : —

(أولا) : ان العلاقات التاريخية ، بين المسلمين والاحباش ، كانت ولم تزل ، علاقات غير محمودة ، لأنها كناية عن سلسلة من الخصام ، محكمة الحلقات .

فمن بزوغ فجر القرن الثامن الهجرى ، إلى عهد قريب ، ونار الشقاق مستعرة بين الطرفين ، وقد وقع على المسلمين فيها ، شىء كثير ، من أنواع الظلم ، والاضطهاد ، لا يحسن الصبر عليه . فقد انتزعت منهم ، ممالكهم ، التى اسسوها ، بحزم سادتهم ، ودافعوا عنها ، بعزم قادتهم ، فقوضت عروشهم منها وسلبتهم حقوقها الشرعية ، الموروثة ، بعد أن خربتها ، بأيدى جيوشها ،

(ثانياً) — إن أكثر عدد من المسلمين ، يقيم فى مناطق تعد خارجة عن حدود الحبشة التاريخية فكان يجب أن يتمتع هذا الشعب بكامل حريته ، فى الدين والاقتصاد ، والادارة ، فيكون جارة شقيقة لها ، مثل حقوق جارتها وشقيقتها لا أن تعاملها معاملة المستعمرات المحتلة قوة واقتداراً

(ثالثاً) — أن الأكثرية ، الساحقة ، من مسلمى الحبشة ، ليس لها بالأحباش الأصليين . صلة مَّا ، فالمسلمون الذين يختلفون ، عن الأحباش ؛ من حيث الدين ، يختلفون عنهم أيضا ، فى اللغة ، والعنصر ، والعادات ، وفيهم من أصبح على درجة ، جليلة ، من المدنية ، والثقـــافة ، مما لا يزال الشعب المسيطر عليهم محروما منه

(رابعا) — إن مسلمى الحبشة ، يقاسون الأمرين ، على يد ، أسيادهم الأحباش وهم مكلفون ، باعالة جنود شوى ، واحرا ، وخدمتهم بدون أن تمدهم الحكومة . بالمساعدات التى ترفع عنهم الظلم والاذى ، وفداحة الضرائب

الأمبراطور هيلاسيلاسى

للمسلمين بارقة أمل فى جلالة الأمبراطور « هيلاسلاسى » فى أن يكون النجاشى الثانى ، الذى يشملهم . بالعدل ويحميهم من جور شعبه . ويكون ذا عطف عليهم . كما فعل النجاشى الأول «اصحمة رضى الله عنه » مع آبائهم المهاجرين الكرام . فى بدء الاسلام .

أقول ذلك لما أشيع من أنه . على أثر زيارة جلالته لمقاطعة «هرر» أبدى استعداده ، لتحسين حال سكانها ، المسلمين ، المساكين ، بتخفيف الضرائب ، التى أثقلت كواهلهم ، مع أخذهم بالعطف والرفق ، ووعدهم بتحسين حالتهم المادية ، والمعنوية ، وقد ظهر بهذه العاطفة بعد تنكره لهم فيما مضى ، وصرحت حكومته ، بأنه لا فرق بين الرعايا المسلمين ، والمسيحيين الاحباش ، أمام قوانين البلاد ، التى لا تنظر الى ما بينهم من الفوارق الدينية

على أن المقاصد الشريفة ، العادلة ، وهو جدير بمثلها . قد لا تتم الا فى «اديس أبابا» مركزالحكومة ، ويصعب جدا ، أن تثمر أى فائدة ، فى غيرها من الاقاليم ، إذ من الصعب محاولة تنفيذ عقلية الشعب الحبشى بمجرد الأمر أو أن يقبل ، أى حبشى مسيحى ، أن يتنازل من عليائه ، إلى المساواة بينه وبين المسلم ، الذى هو فى نظره أحد عبيده ،

وقد علمنا ، من مصادر يوثق بها ، أن كل رأس من رؤس الحبشة ، له التصرف المطلق ، فى احكامه ، على أهالى اقليمه ، وليس للأمبراطور ، عليه فى ادارة شؤنها ، شىء من السيطرة ، لا قليـــــل ولا كثير ، ولا تربطه بامبراطوره ، الا دعوة الحرب ، ودفع القدر المعلوم من المال

والذى استنتجه من حال الحكومة الحبشية المسيحية مع رعاياها المسلمين أن الأحباش الذين تعودوا أن يعيشوا على كد كواهل سواهم ، يخافون ، من المسلمين الذين يماثلونهم عددا ، ويفوقونهم ، ذكاء ، ونشاطا . اذا تمت بينهم وبينهم المساواة فى الحرية ، والمعاملة ، لا يمضى زمن طويل ، حتى يتفوق العنصر الاسلامى ، من جميع مرافقه ، ويتلاشى ، الشعب الحبشى الأصلى بين يديه ويصبح محكوما ، فى كل شىء ، بعد ان يكون هو الحاكم المسيطر

وهذا الرأى يسود الأمة الحبشية من قديم ، ومحال ان ينزع ، من عقيدتها

على ان التاريخ اوضح لنا ، باجلى المظاهر ، ان هـذه الحكومة ، قد عجزت الاجيال التى مرت عليها ، عن أن تجعلها ، فى الدرجة التى يستحقها ، سكان هذه البلاد ، الخصبة ، من الرقى ، والعمران ، ولكن لنا من الآمال العظيمة ، التى يشاركنا فيها جميع مسلمى العالم . فى حكمة جلالة الامبراطور

الحالى ، وحسن رأيه ، أن يرد للمسلمين كل حقوقهم ، وأن يقابل جميلهم ، وقد هبوا لمساعدته ، بالأرواح ، والأموال ، فى هذه الأزمة ، الضروس ، بما يستحقون من الرعاية والعطف ، والله يجزى الشاكرين ،

واجب اللجنة العامة للدفاع عن « القضية الحبشية » نحو الاسلام

مما يجب علينا أن نستبشر به ، ونعـــده واسطة ذات أثر مفيد ، فى تحسين حال المسلمين ، فى الحبشة ، هذه اللجنة المباركة التى قامت ، فى مصر ، للدفاع عن « القضية الحبشية » وعلى رأسها الأمير الجليل ، فخر الأسرة المحمدية العلوية ، صاحب السمو « عمر طوسون باشا » ويمده برعايتها صاحب الغبطة « الانبا يؤنس » بطريرك الاقباط الأرثوذكس ، المصلح القدير . وصاحب العزة الدكتور « عبد الحميد سعيد » رئيس جمعية الشبان المسلمين ، بمصر ، ونائب اللجنة . ومن معهم من كبار الأمة المصرية ـ مسلمين وأقباط ـ أن تجعل مهمتها بعد ذهاب هـذه المحنة المدلهمة ، اقناع جلالة الامبراطور «هيلاسيلاسى » بان مصر القائمة على عنصرى . المسلمين ، والأقباط ، تتمنى من صميم أفئدة أبنائها ـ حكومة ، وشعبا ـ فى أن يمـد للمسلمين فى الحبشة يد المعونة ، والمساعدة ، فى ترقية شؤنهم ، ويحافظ على تنفيذ شعائرهم الدينية ، كما تقتضيها شريعتهم الغراء ، ويسوى بينهم بالعـدل أمام القانون ، ويسهل لهم كل سبيل يرون لهم فيها مصلحة نافعة ، وان يتخذ

من رجالهم « الاكفاء » لحكومته ، كما يتخذ من الأحباش المسيحيين ، وأن يساعد جمعياتهم ، العلمية ، والدينية ، ويحميها من عبث الجاهلين

بذلك يكون قابل جميل اللجنة بمثله ، بل وبأحسن منه

الخاتمة

تم بحمد الله ، وحسن توفيقه ، هذا الكتاب ، الذى أوضحت فيه حال الاسلام فى « المملكة الحبشية » وكيف يعيش المسلمون هناك

وقد ألفته وأسرعت فى اظهاره ، لأغتنم فرصة جعله وسيلة ، لتحسين حال اخواننا فى الدين ، مع اخوانهم فى الجوار

هذا ولا أنسى ماقام به صهرى حضرة الأستاذ الاديب ، والبحاثة المحقق « أحمد سعيد البغدادى أفندى » من المعونة لى فى اظهار هذا الكتاب ، الى الوجود ، بما أمدّنى به فى كثير من أبوابه

كما أذكر بالشكر صديق حضرة الأستاذ الكاتب القدير « بولس مسعد » الذى ساعدنى فى الحصول على بعض الوثائق الافرنجية ، وترجمتها

جزاهما الله تعالى خيرا على هذه الخدمة التاريخية الجليلة

(٢١ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ) و (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ م)

المؤلف
يوسف أحمد

فهرست الكتاب